



روايات أحلام



بقايا ليل

كيت والكر



بقايا ليل

موقع مكتبة رواية

www.ridaya.ga

قناة روايات عبر على تليجرام

<https://t.me/aabiir>

كيت والكر
روايات احلام

231

الملخص

ما كان حلما رائعا ليلة أمس ، انتهى كابوسا
عند الصباح . .

الرجل الذى ألبس ليلى خاتم الزواج بالأمس
، يلقي عليها الآن كلمات الوداع . .
- لكن لا يمكنك أن ترحل . .

- يمكنى أن أفعل ما أريد . . حاولى فقط
أن تمنعيني !

لم يكن هذا هو الرجل الذى أحبته ومنحته
جسدها وقلبها منذ يوم واحد فقط ! خيل
اليها أن رجلا غريبا أمسك بجسد رونان
وانتزع منه روحه ، تاركا من ذلك الرجل
الذى أحبت ، الهيكل فحسب .

أمس ، حسبت أنها ملكت العالم ، ووجدت
الحب الحقيقى الذى تطلعت اليه طوال
حياتها ، ولكن كل هذا مات عند الصباح . .

.

الفصل الأول

نظر ((رونان غيرين)) الى وجه المرأه النائمة
فى السرير , فأوشك أن يعدل عن قراره .
فقد بدت مسالمة بريئة ، ورائعة الجمال ..
وكان من الصعب عليه أن ينسى الليلة التى
أمضاها معها .. والمشاعر المحمومة المتوهجة
التى تبادلاها .. ومع ذلك لا يشعر بوخزة
ندم لما يعتزم القيام به .

لكنه عاد فتذكر ((روزالى)) تلك التى تماثلها
جمال وبراءة ، فقسى قلبه وثبت عزمه ثم مد
يده يلمس كتفها برفق ، قائلاً برقة : ((ليلى
...))

.

لم تجب فى البداية .. فقد كانت مستغرقة فى
نوم عميق بعد ليلة حافلة لم يذوقا خلالها

طعم النوم . ولأنه لم يشأ أن يعطى نفسه
الفرصة ليعيد النظر في الأمور أو الاستسلام
لضعفه أمام منظر البراءة هذا ، هزها بخفة ،
ونظر إليها وهي تتمم بصوت خافت
وتتقلب في مرقدها وعيناها مغمضتان .

- صباح الخير ، يا زوجة .

(صباح الخير يا زوجة) اخترقت هذه
الكلمات سحب النوم المتراكمة حول ذهن
ليلي لتصل الى أذنيها غامضة مبهمة مما

جعلها تقطب جبينها ناعسة مشوشة . زوجة

؟

وتحركت بتثاقل في الفراش المريح ، وفتحت

عينها الذهبيتين الداكنتين على اتساعهما

لتلتقيا بنظرات الرجل الجالس على حافة

السرير وأصابعه القوية مازالت على ذراعها .

– رونان ؟

.

- طبعا ! وكيف يمكنها أن تنسى ولو لحظة ؟

كيف يمحو النوم حقيقة أنها منحت هذا
الرجل قلبها كليا ؟ هذا الرجل الذي ألبسها
أمس فقط خاتم الزواج ، مقسما على أن
يجبها ويحترمها بقية حياته ؟

- تمطت مبتهجة ، ثم استدارت تواجهه : ((
صباح الخير ، يا زوجي)) .

- كانت غمزة جفنيها وابتسامتها المغرية
الناعسة موجهتين مباشرة الى عينيه الزرقاوين
، وكانت خصلات شعرها الأشقر الطويل قد

انتشرت بشكل مثير حول وجهها البيضاء
الشكل على الوسادة الناصعة البياض .
- لكنها دهشت اذ لم تجد الصدى الذي
كانت تتوقعه لابتسامتها وغمزتها الداعية .
وانما ، بدا لها رونان فاترا بشكل غريب مقلق
. فقد ظهرت البرودة على قسماات وجهه
الذي يعلوه شعر ناعم بني داكن .. برودة لا
تمت بصلة الى ذلك العاشق المتلهف المحموم
المشاعر الذي عرفته الليلة الماضية .

- توهج وجهها احمرارا لذكرى تلك الليلة ،
وبللت شفتها السفلى المستديرة بلسانها .
وعندما رأت نظراته تتابع هذه الحركة الخفيفة
، سرى في عروقها شعور بالانتظار الأثوى .

- - زوجى .

.

عادت تتمتم بهذه الكلمة ، وهي تلفظ كل
حرف من حروفها بلهفة .. عندما استرسلت

البارحة في النوم ، كانت واثقة أنها ستستيقظ
لتجد نفسها بين ذراعيه القويتين ، تغمراها
وتشعلان النيران في جسدها .

لذا تملكها الارتباك والقلق وهي تراه الآن
جالسا بجانبها ، مرتديا ملابسه ، وقد بدت
عليه البرودة واللامبالاة . وسألته وهي تتذكر
الرحلة التي سيقومان بها هذا اليوم : ((كم
الساعة الآن)) .

- حوالي التاسعة .

– مازال الوقت باكرا ، فماذا تفعل خارج

السريـر ؟

.

قالت ذلك وهي تنظر الى ملابسه باستنكار
. فقد بدت غير ملائمة للرحلة الطويلة التي
سيقومان بها الى جزيرة استوائية ليقضيا شهر
العسل فيها ... والبذلة الرمادية الأنيقة
الفاخرة اللون ، والقميص الناصع البياض ،

وربطة العنق المتحفظة ، زادت من شعورها
بالارتباك وانتابها احساس بالعزلة والبعد عنه
، فقالت باحتجاج : ((لن تطلع طائرتنا قبل
الثالثة .. أمامنا متسع من الوقت)) .

ومدت يدها تلامس يده القوية ، الملقاة على
غطاء السرير الأبيض ، وهي تتمتم باغراء :
((عد الى السرير))

لكن جوابه الوحيد كان هزة نفي بالغة العناد
من رأسه الملمع الشعر . استقرت نظراته

الكئيبة على ((محبس)) الزواج الذهبى

المتألق فى يدها .

فقال له بصوت حاد غير مصدقة : ((لا !

((.

أهذا هو الرجل نفسه الذى عرفته خلال

الليل ؟ أهو رونان نفسه الذى عاملها بغاية

الرقة والحب .

وقالت بصوت خافت محاولة اغوائه : ((ما

الذى حدث ، يا حبيبى ؟ أتراك سئمت منى

((؟ .

وكان لسؤالها هذا ردة فعل مختلفة تماما عما
كانت تتوقعه . فقد رفع رونان رأسه بحركة
مفاجئة لتلقى عيناه بعينيها ، وتشتبك برودة
نظراته بدفء العنبر في نظرات ليلي . واذا
بشيء في أعماق تينك العينين ، شيء عكر
صفاءهما وجعلها ترتجف توجسا .
- سئمت منك ؟ هذا محال .

وليثبت كلامه هذا ، أرفقه بنظرة اشتها
ساخرة اهتزت لها . ولكن ما أن بدأت ليلي
بالعودة الى تلك الأحاسيس الدافئة ، حتى
تنبهت الى ما يحف تلك النظرة من برودة
جعلت عينيه أشبه بكتلتين من الثلج . قال
لها : ((وجودك وحده يشعل النار في كياني ،
أيتها السيدة ، وأنت تعلمين ذلك . نظرة
واحدة اليك تجعلني أرغب فيك الى درجة
أنني أشعر أنني سأموت ان لم أحصل عليك .
لكن تلك كفارة على أن أتحملها))

قال ذلك بصلافة مزعجة .

– كفارة ؟

.

تحول احساسها بعدم الارتياح الى موج كاسح

من الاضطراب والقلق ، فتوترت أعصابها

بشكل بالغ وهي تقول : ((لم أفهم !)) .

لم تستطع اخفاء رجفة في صوتها وهي تندفع

جالسة بدعر : ((ما الأمر ، يا رونان ؟)) .

– أريدك ، يا ليلي .

قال ذلك متجاهلا سؤالها . كانت كل كلمة
من كلماته باردة الى حد أن ليلي أجفلت
منها وكأنها قطع من الثلج تتساقط على
عنقها وكتفها العاريتين . ثم تابع قائلاً : ((
ولكنني لن ألمسك بعد الآن أبدا .. على
الاطلاق . انتظرت فقط أن تستيقظي لأقول
لك الوداع)) .

– ال .. الوداع ؟

هذا مستحيل . لا بد أنها لم تسمع جيدا ، أو
أنها نكتة مثيرة للغثيان .. نكتة لم تعجبها
مطلقا .. ولكنها ما كانت لتصدق أن يكون
رونان يمثل هذه القسوة .

- هذا ليس مضحكا ، يا رونان ؟

- مضحكا ؟

قال ذلك بلهجة لم تكن بحاجة لمزيد من
الايضاح .. الا انه أراد أن يخبرها بالأمر
باسهاب ودقة فلا يوفر عليها شيئاً . فقد
أرادها أن تعلم بالضبط ما يجرى ، وأن تفهم
معنى الألم الحقيقي .

- هذه ليست نكتة يا عزيزتى ، صدقيني . لم
أكن يوماً جاداً كما أنا فى هذه اللحظة ، لقد
انتهى زواجنا . وسأرحل الى غير عودة .

- ونهض واقفا بخفة فصدمت وهي تقارن
حركته السهلة تلك بالانفعال العنيف الذي
يعتمل في رأسها . وتابع كلامه قائلاً : ((
وسأدعك تقررین موعد تنفيذ اجراءات
الطلاق)) .

- ولكن ..

- والآن ، اذا سمحت ..

وكان فى تصرفه المهذب هذا ما يثبت

تصميمه على عدم الرأفة بجالها على الاطلاق

.

– أمامى رحلة طويلة بالسيارة .

وعندما كان يجتاز الغرفة لم تستطع ليلى سوى

التحديق اليه بذهول واضطراب . وعلى

الرغم من أن عينيها الذهبيتين تسمرتا على

ظهره ، كانت أفكارها مستغرقة فى أحداث

اليوم السابق .. يوم عرسهما .. وحاولت أن

تفهم السبب الذى حول سعادتها المتألقة ،

الى مثل هذه المشاعر المرعبة الآن .

كيف أمكن لأعظم أحلامها الذى حسبته قد

تحقق أن ينقلب ، بهذه السرعة ، الى كابوس

؟ لقد انهار ذلك الانجاز الآن حطاما عند

قدميها .

.

ما الذى جعلها لا تشتهه بشئ ؟ من المؤكد
أنه كان ثمة دليل ما .. فما ان رفع القناع عن
وجه العريس السعيد الى يتطلع الى زواجه
بنفس الاثارة واللذة اللتين تملآن قلبها ، حتى
ظهرت مشاعره الحقيقيه , ولو كانت المشاعر
التي ادعى أنه يكنها لها صحيحة ، لما تصرف
بهذا الشكل .

الا أنه لم يبد عليه قط التصنع ، ولم يساورها
الشك للحظة واحدة فى صدق مشاعره .

فمتى تبددت يا ترى ؟

.

لا .. هذا مستحيل ! لا بد أنها تحلم ! ولا بد
أنها الآن في كابوس تتلف للاستيقاظ منه .
وراحت تفرص يدها وذراعها ، داعية الله أن
يساعدها على الاستيقاظ من الكابوس ..
ولكن شيئاً لم يحدث . فهي مستيقظة تماماً ،
وجهن هذه حقيقة .

أمس حسبت أنها ملكت العالم ، ووجدت
الحب الحقيقي الذي تطلعت اليه طوال
حياتها .

كان يوم أمس رائعا ، ولم يثر شئ استياءها
سوى شعر رونان .

- حسنا ، هل أنت مستعدة للقيام بأطول

مسيرة في حياتك ؟

- قال ((جورج هاليداي)) هذا لليلى

ضاحكا ، ويده تضبط ربطة عنقه المزخرفة ،

فوق القماش الحريري .. كان وجهه المغضن

قد لوحته شمس شهر نيسان غير المتوقعة .

- - أطول مسيرة ، يا عمى جورج ؟

- وابتسمت ليلي وهي تنظر الى الرجل
الذى لم يكن عمها الفعلى ، ولكنه اكتسب
هذا اللقب لطول عهد صداقتهما حين بدأت
عملها كبائعة زهور .

كان جورج يبيع الزهور على منصة مجاورة
لمنصتها . وقد ساعدها كثيرا عندما انتقلت
للعمل فى حانوت صغير مستأجر ، فبقى
أقرب الأصدقاء لها وأشدهم اخلاصا
لسنوات . ومع اقتراب موعد زفافها ، لجأت
اليه اذ لم تكن تعرف مكان أخيها المفقود

وكانت بحاجة الى بديل له يرافقها الى المذبح

.

- يقال انها أشبه بالمسيرة نحو المشنقة .

.

- لعل التقاليد أعطتها هذه الصورة ، يا

عزيزتى . ولكن رأيي فيها مختلف . فتلك

المسيرة بالذات هي نحو هدف معروف مسبقا

وسريع الزوال . أما هذه ، فمختلفة تماما اذا
يلزمك وقت طويل للتفكير . ومع كل خطوة
تخطيها تتساءلين عما اذا كنت قد اتخذت
القرار الصائب . يحبني .. لا يحبني ..

– وكان يتقدم نحو الأمام بخطوات بطيئة وقور
مع كل جملة يقولها .

– – أواه ، يا عم جورج ! لست مضطرة الى
التفكير ، فأنا أحب رونان أكثر من نفسي ،
وهو يبادلني الشعور نفسه .

– حسنا ، ما دمت واثقة من ذلك .. لكن

أرى أنك تسرعت قليلا .

وأنبأها عبوسه بما يجول في رأسه ، فأسرعت

تبدد قلقه .

.

- لا ، أنا لست حاملا ، ان كان هذا ما
تفكر فيه . فرونان يعلم أنني أفضل الانتظار
الى ما بعد الزواج .

- ان كان الأمر كذلك ، فزوجك نادر من
نوعه . أظن أن هذا يفسر سرعته في عقد
الزواج . فلو كنت أصغر بثلاثين سنة ، ولى
خطيبة بمثل جمالك ، لأسرعت في عقد
الزواج ، اذ كل يوم أقضيه بعيدا عنها قد
يبدو لي أشبه بالأبدية .

- عمى جورج !

وتوهج وجهها احمرارا من أسفل عنقها
الرشيق الى منبت شعرها الذى كان يعلوه
اكليل بلورى . ورفعت باقة الورد الأبيض فى
يدها محاولة اخفاء احمرارها .

- لا تخجلى منى ، أيتها الشابة ! فأنت فى
السادسة والعشرين وتدركين ما أعنيه . أتمنى
أن يعى رونان أنه حظى بكنز ثمين .
- لا تقلق من هذه الناحية .

طمأنته ليلي وقد أخذت بعض الذكريات
تبعث الاحمرار الى وجهها مرة أخرى .
قد يكون رونان وافق على رغبتها في الانتظار
الى ليلة عرسهما ، لكن هذا لا يعنى أنه
أذعن بسهولة ، أو انتظر صابرا مسيطرا على
مشاعره . فى الواقع ، كادا يعدلان عن
قرارهما هذا أكثر من مرة فى الأيام الأخيرة ،
وهى تحمد الله لأن فترة الخطوبة كانت قصيرة

. فقد استغرقت الشهرين ، وهي فترة أكثر

من كافية بالنسبة لليلى .

أعدت موسيقى ((مسيرة الزفاف))

التقليدية المألوفة انتباهها الى الواقع ..

أخذت تسوى ثوب زفافها العاجى الأنيق ،

بأصابع مرتجفة ، ثم رفعت رأسها عاليا وهي

تلتفت الى مرافقها بابتسامة واثقة : ((

فلندخل)) .

- ألن تعيدى النظر فى الموضوع ؟

•

– لا أبدا . كلامك صحيح يا عمى جورج .
رونان فريد من نوعه ، ولهذا السبب بالضبط
سأتزوجه .

كانت الكنيسة من الداخل أجمل مما توقعت
، اذ وضعت الورود العاجية اللون على

عتبات النوافذ الملونة الزجاج ، والزنابق البرية
عند طرف المقاعد . أما المذبح ، فكان هناك
وردتان طويلتان شبيهتان بالشموع التقليدية
التي توضع عادة في الكنيسة .

الا أن الشموع الحقيقية غابت عن المبنى
القديم هذا ، بعد أن أفصحت ليلي عن
رغبتها هذه للكائن الذي تفهم شعورها تماما

وفي اللحظة التالية ، اتجهت نظرات ليلي الى
الرجل الطويل الواقف أمام المذبح ، وقد بدا

ساحرا فى معطف الصباحت الرسمى البالىغ
الأنافة فنسىت على الفور كل شىء آخر ..
انه رونان ، خطيها الذى سرعان ما سيصبح
زوجها بعد قليل .

.

وأخذ قلبها يحنق بعنف وعيناها العنبريتان
تلتهمان جسمه الفارع وكتفيه العريضتين .

كانت قدماه راسختين على الأرض الحجرية ،
وساقاه قويتين ثابتتين ، ولا أثر فيهما للرجفة
العصبية التي اعترت ساقها فجأه ..

وجعلت الشمس المناسبة من النافذة على
رأسه مباشرة ، خصلات شعره اللامعة
النحاسية تتألق في العتمة الهادئة .

في تلك اللحظة لاحظت التغيير في مظهره !
شعره ! لقد قص رونان شعره الرائع الجمال
الذي كان بالأمس كثيفا لامعا ، ذا تموجات

طبيعية ، فأصبح الآن قصيرا يكشف عن

رقبته السمراء .

.

اضطرت ليلى الى عض شفتها السفلى بشدة

لتكبت خيبة أملها . فقد كانت تعشق لف

خصلات ذلك الشعر الحريرى الأسود على

اصبعها ، وتتلهف للقيام بذلك فى ليلة

عرسهما .. بدا لها أكبر سنا وأكثر صلابة في
شعره القصير الذي أبرز أيضا ناحية القوة في
شخصيته فتلك القوة هي التي منحتة لقب
رجل أعمال لا يرحم والتي نادرا ما لمستها
أثناء معرفتها به .

لكنها لا تستطيع التعليق الآن . فقد تقدم
الكاهن الى الأمام بادئا المراسيم ، واستدار
رونان نحوها . وأمسك يدها بيده القوية
الدايفة ، فرأت نظرة الاعجاب في عينيه وهو
يتأملها من رأسها لأخص قدميها .

في تلك اللحظة بدت الكنيسة والمحتشدون
فيها وكأنهم استحالوا جميعا الى سحابة ملونة
، فلم يعد هناك سواها وسوى رونان وعهود
الزواج بالحب والوفاء والاخلاص لبعضهما
البعض بقية حياتهما .

وطوال الاحتفال ، كان في أعماق تينك
العينين الزرقاوين رغبة تحترق ، هي من القوة
والتلهف بحيث تبعث فيها أحاسيس محمومة
لا تليق بهذا المكان أو بهذه المناسبة الرصينة .

ولكن بعد انتهاء الطقوس ، وانتقالهما الى
حفلة الاستقبال في فندق مجاور ، لم تعد ليلى
تستطيع أن تكتف خيبة أملها أكثر ، فالتفت
الى رونان معنفة .

- لماذا قصصت شعرك ؟

- مبروك لك أيضا .

كان هذا جوابه السريع الساخر ، وقطب

حاجبيه الأسودين المستقيمين قليلا وهو

يتابع : ((ومهما حدث ، فأنا أحبك ، يا

زوجتي العزيزة . وأنا سعيد جدا لأنني

أصبحت زوجك)) .

احساسها بما وراء كلماته هذه ، التي لم

تتوقعها ، جعلها تمسك نفسها عما كانت

تنوى قوله ، لتردد بحذر ، جملته : ((أحبك

يا . . يا زوجي العزيز)) .

هل هذا صحيح . أيمكن أن يكون رونان قد أصبح زوجها حقا ؟ بعد تلك الأيام الحافلة بالشوق ، والليالي الحاملة بهذه اللحظة ، بدا لها مستحيلا أن تتحقق تلك الأحلام أخيرا .
- وأنا سعيدة جدا لأنني أصبحت زوجتك .

•

- أحقا ؟

لقد أحست ، مرة أخرى بذلك التشديد
المقلق على الحروف بجدة كانت عيناه ناراً
فضية وهي تستخلص الجواب من أعماق
روحها .

– هل أنت سعيدة ؟ سعيدة حقاً ؟

فارتجف صوتها لعنف هذا الاستجواب الغير
منتظر : ((طبعاً أنا كذلك . ما هذا يا رونان

؟ استنطاق أسباني ؟)) .

– أردت التأكد فقط .

– التأكد !

أرسلت رغبة رونان المفاجئة للاطمئنان في
كيانها موجة من البهجة والاثارة ، غمرت
قلبها بمزيد من الحب . ففكرة أن يظهر رجل
متميز وناجح ، مثل رونان ، ويتحدث بمثل
هذه المشاعر العميقة جعل عينيها تغرورقات
بدموع حارة .

– أواه يا رونان ! وكيف لا أكون متأكدة ؟

لقد تزوجت لتوى الرجل الذى أحب

وأقسمت على ذلك أمام العالم أجمع . .

– قاطعها بصوت خشن : ((ماعدا ديفى))

.

– فأجابت بهدوء : ((نعم ، ما عدا ديفى))

.

سالت دموعها هذه المرة لسبب مختلف تماما

. فسعادتها كانت لتكمل كليا لو كان أخوها

حاضرا اليوم .

– ليتنى تمكنت من الاتصال به !

– وكذلك أنا .

.

قال رونان ذلك بحدة فنظرت اليه بدهشة :

((لم أكن أعلم أن أمره يهكم الى هذا الحد

((.

– حسنا ، فلنقل أنني كنت أفضل لو قابلت

أخاك قبل هذا اليوم .

- وحول عينيه عنها محققا الى الخارج عبر
القاعة المزدحمة . أيقنت ليلي أنه لم يكن
يحدد بالمدعوين المتألقى الملابس ، الذين
كانوا يضحكون ويثرثرون ، عندما عاد ينظر
اليها بلامح غامضة يصعب تحديدها .
وتكلم مرة أخرى ، فتملكها شعور غريب
بأن الموضوع الذى كان يشغل أفكاره لا يمت
اليها بصلة .

– اننا انسانان راشدان وعصريان ومع ذلك
لا نستطيع أن نستدعى ولو فردا واحدا من
أقربائنا .

– أعرف هذا . .

.

وتنهدت بأسى وهى تفكر فى والديها اللذين
قتلا فى حادث مأساوى وهى فى السابعة

عشرة من عمرها ، وديفى الذى يصغرها

بست سنوات . لو بقيا حين لشاركاها

سعادتها وهما يريانها اليوم عروسا . ولم

يساورها الشك للحظة فى أنهما كانا

سيوافقان على هذا الصهر الوسيم ذى القامة

الفارعة ، الذى يعشقها .

من المحزن أن رونان كان أيضا وحده . .

فعندما سألته عن أقاربه الذين سيدعوهم الى

العرس ، رد عليها باقتضاب : ((ليس لى

أسرة . . ولكن سأعطيك قائمة بأسماء

أصدقائي ، ان شئت)) .

وعوض عدد أصدقائه عن الأقارب ، حتى أن

بعضهم أحدث ضجة كبرى في هذه المدينة

الشمالية الصغيرة ستدوم فترة طويلة بعد

انتهاء الزفاف . . فبصفته رجل أعمال واسع

الثراء ، كانت له اتصالات بأشخاص يماثلونه

ثراء وشهرة . وقد حضر معظمهم حفل

الزفاف اليوم .

لكن هذا لم يعن أن الفرصة سنحت لها
للتحدث اليهم ، فقد أبقاها رونان بجانبه
طوال الوقت فلم تجد الفرصة للتعرف على
ضيوفه .

.

وقطبت حاجبها قليلا عندما شاهدت أحد
أصدقاء رونان ، ((كونور فيت باتريك)) في

حفل الزفاف . ففي اليوم السابق للعرس ،
بدا عليه الشرود عندما قدموها اليه ،
وأخضعها لفحص شامل بعث فيها اضطرابا
واضحا .

أما ((هانا)) ، صديقتها الحميمة واحدى
وصيفات العروس ، فقد نجحت فى التقرب
منه على حلبة الرقص ، بينما كان يمنحها
ابتسامة واسعة لملاحظة أدلت هى بها .

- لم هذه النظرة السوداء ؟ .

سألها رونان ذلك وهو يرى تغير ملامحها .

– لدى احساس بأن ((كونور)) ليس راضيا
عنى ولا يشعر نحوى بمودة .

لمعت تانك العينان الفولاذيتان بسرعة وهما
تحداقان بصديقه ، وعاد من جديد ليقطب
جبينه . لكن رونان عاد فالتفت اليها ورماها
بابتسامة بددت مخاوفها الحمقاء ثم قال لها
بنعومة : ((وما الذى لا يرضيه فيك ، أيتها

الحمقاء الصغيرة ؟ الحقيقة هي أنني لم أكن ،
قبل الآن ، من النوع الذي ينشد الاستقرار .
ولكن ، حينا هذا كان أشبه بزوبعة غرامية . .
ولقد صرعتني حبك وأنا عاجز عن استعادة
توازني)) .

في تلك اللحظة طمأنتها هذه الكلمات . .

وتملك ليلى التعاسة وهي تعود مرغمة الى

حاضرها لتجد نفسها تحرق في الباب الذي

خرج منه رونان لتوه . لكن تلك الكلمات

كشفت الآن عن خداع بالغ القسوة

والوحشية وهو يعلن أنه راحل من دون عودة

.

دفعها صوت الباب في الطابق الأسفل وهو

يفتح ، الى النهوض . ما الذي تفعله بجلوسها

هنا بهذا الشكل ، تاركة رونان يرحل ؟ انه
زوجها ! لم يمض على زواجهما أربع وعشرون
ساعة بعد . فهل ستدعه يرحل من دون

مقاومة ؟

قفزت من سريرها برعب ، واختطفت عباءتها
عن كرسي بجانب السرير ، غير عابئة بقميص
نومها المكوم على الأرض حيث ألقى به
رونان في حمى مشاعره . . ارتدتها وأحكمت
شد الحزام على خصرتها وهي تنزل السلم .

كان الباب الأمامى مفتوحا على مصراعيه ،
وأشعه الشمس تتسلل من خلاله . . شعرت
بغصة في قلبها أمام الطبيعة المشرقة ، التي
تتناقض مع الاحساس الأسود بالهلع الذى
ينتابها .

– رونان !

.

كان قد خرج من المنزل ووقف بجانب سيارته
يضع حقيبته في الصندوق ، فأخذ قلبها يخفق
وهي تدرك مصدومة أنه كان يعنى حقا ما
قال .

لأنها حتى هذه اللحظة ، لم تفقد الأمل في أن
ينتهى هذا الكابوس .

- رونان ، انتظر !

لكنه تجاهلها ، وحول وجهه بعيدا عنها وقد
بدا من تصلب جسمه أنه يرفض أن يلين
أمام تضرعاتها . هبطت الدرجات قائلة :

((أرجوك ، لا تفعل هذا . . لا يمكن أن
تفعل بي هذا يا رونان ، لن أسمح لك بذلك
((.

لكن رونان أغلق غطاء الصندوق ببطء
متعمد . وتردد صدى ارتطام الغطاء ، في
رأس ليلى ، وكأنه يذكرها بالأبواب الفولاذية
التي صفقت في وجهها ، وصوت الساعة
تعلن ساعة الفراق المرعبة .

لم يكن هذا رونان ! لم يكن هذا الرجل الذى
أحبته من كل قلبها ، ومنحته جسدها وقلبها

منذ يوم واحد فقط ! فقد خيل اليها أن
رجلا غريبا دخل الى البيت ، وأمسك بجسد
رونان وانتزع منه روحه ، تاركا من ذلك
الرجل الذى أحببت الهيكل فحسب .

.

لكن العينين كانتا مختلفتين . كانتا صلبتين
وباردتين كالفولاذ ، مهلكتين كنصل خنجر ،
ومنيعتين كمصراعى باب حديدى .

- لا يمكنك أن . .

حاولت الكلام ، لكن صوتها خانها .

قال متحدثا بسخرية ، وهو يلقي عليها نظرة

فاترة كئيبه كأيام الشتاء القارسة البرودة : ((

يمكنني أن أفعل ما أريد ، حاولي فقط أن

تمنعي ((.

2 - تذكرى هذا !

لم تتوان ليلي عن القيام بأول شيء خطر ببالها

.

ركضت نحو رونان ، غير عابئة بأنها لا ترتدى
الا تلك العباءة الحريرية الخضراء ، وتشبثت
بكم سترته بكل ما لديها من قوة .

- لن أدعك ترحل قبل أن تطلعني على
السبب ! أنت مدين لي بهذا على الأقل .

عادت هذه الكلمات فاخفت في حلقها
وهي ترى العدائية في عينيه ، ثم أبعد يدها
عن كفه باستخفاف مهين :

((لست مدينا لك بشئ)) .

.

قال ذلك بأنفة وهو يسوى سترته على كتفيه
قبل أن يفتح باب سيارته .

– وان كان هناك من ديون فأنت من عليها

تسديدها .

– أنا . . آه . . لا . . لا ترحل .

واذ رأته على وشك الصعود الى مقعد القيادة

، عادت تندفع اليه محيطة خصره من الخلف

بذراعيها . لكنها سرعان ما أدركت الغلطة

التي اقترفتها عندما شبكت أصابعها فوق))

بكلة)) الحزام الجلدى الذى يحيط بخصره ،

بينما التصق صدرها بصدرة .

فى الليلة الماضية أمسكت به بهذا الشكل ،

لكنه كان حينذاك أليفا دافئا ، لا غريبا

عدوانيا كما هى حاله الآن . . كان حينذاك

يرتدى روب ((الحمام)) وكان قد نهض أثناء

الليل من السرير لسبب ما ووقف يحدق من

النافذة فلحقت به وطوقته من الخلف

بذراعيها كما تفعل الآن .

لكن الأمر ، حينها ، كان مختلفا كليا ، اذ
تجاوب معها على الفور وكشفت ردة فعله
عن شوقه اليها ، مما دفعها للانفجار ضاحكة
، تتأوه وهي تواجه دفاء جسده .

وكان رونان قد تأوه هو أيضا مسرورا
واستدار اليها يأخذها بين ذراعيه . ولكنها في

اللحظة الراهنة شعرت بطعنة ألم قاسية

أوهنتها .

وهذا الوهن الذى شعرت به جعل من
السهل على رونان أن يخلص نفسه منها بقوة
قذفت بها بعيدة . فدارت حول نفسها ثم
ارتطمت بعنف بجانب السيارة .

فقال بصوت خشن : ((أنا راحل يا ليلى ،

ولن تردعيني مهما فعلت)) .

لم يكن من السهل عليه قول هذا ، فلمسة
واحدة منها كفيلة بأن تجعل كل عصب في
جسده يضج بالشكوى والحب والتوتر ،
ولكم هو متلهف الى تلك المشاعر الجميلة
الى جمعتهما الليلة الماضية .

عندما بدأ يتصرف على هذا الشكل ، اعتقد
أن بإمكانه أن يعزل مشاعره عنه ، ولم يضع

في الحسبان رغبته الشديدة فيها ، تلك
الرغبة التي قد تدمره ان لم يقاومها بعناد وقد
تجعل خطته رمادا .

وبدلا من أن يلتفت اليها ويأخذها بين
ذراعيه ليعانقها ويضمها بكل ما في مشاعره
من شوق اليها ، انتزع نفسه منها بكل قوته

.

مزق اليأس قلب ليلي وهي تراه يستقر وراء
عجلة القيادة ويدير المحرك ؛ يأس ممزوج
بمشاعر تملكته جعلت من الصعب عليها
التفكير بوضوح .

.

لم تذق من حب هذا الرجل سوى ليلة
واحدة . . ولم تحضنها ذراعاها سوى ساعات

قصيرة . . لكن جسدها عرفه بشكل جعلها
أشبه بجارية من الزمن القديم ، مدموغة بوشم
سيدها . كان يكفي أن تلمسه حتى تقفز
حواسها الى حياة نابضة متوثبة ، وحتى
يلتهب كل عرق فيها بالحنين والحب واللهفة
الى ما يبعثه حبه في قلبها .

وكما الآلة الموسيقية التي تتجاوب مع مهارة
أداء صاحبها ، لم يكن عليها الا أن تشعر
بدفئه ، وتشم رائحته ، وتشعر بخفقات قلبه

تحت وجنتها ، لكى تضيع تماما ، وتؤدى
اللحن الذى قرر أن يعزفه .

.

ولكن عليها أن تتصرف فى الحال ، قبل أن
يرحل الى الأبد . لم تشك للحظة واحدة فى
أنه كان يعنى ما يقول . فالافتناع باد على
وجهه ، ولو أنها لم تكن تعرف السبب .

مد احساس مفاجئ بالذعر أفكارها بفكرة
يائسة ، فكرة جنونية . وقبل أن تمنح نفسها
وقتا قد يفقدها جرأتها ، اندفعت نحو غطاء
محرك السيارة تتسلقه جامعة حولها معطفها
أثناء القيام بذلك .

فهتف بغضب بالغ : ((ليلي ! انزلي من
هناك !)) .

- حاول أن ترغمنى على ذلك !

.

واذ بصوت المحرك يدوى بعنف ، ويشير فيها
الخوف من أن ينطلق بالسيارة وهي ما زالت
جائئة على الغطاء . وتصورت ، برعب ،
هذه السيارة القوية وهي تنهب طريق المنزل ،
متعرجة بوحشية في سيرها لتجعلها تسقط ،

فجمد الدم في عروقها . وكانت أفكارها قد وصلت الى النقطة التي أخذت فيها تتخيل ما قد يحدث لها من ضرر ان هي وقعت عن هذه السيارة المسرعة ، على الطريق المرصوف بالحصى . . ولكن رومان رفع قدمه عن دواسة البنزين وتلاشى صوت المحرك . .

لم تكد ليلي تلتقط أنفاسها حتى انفتح الباب بعنف وخرج منه رومان مندفعاً نحوها بخطوات

واسعة ، وقد بدا الغضب على وجهه :))

ليلي . . .)) .

وعندما وقف بجانبها أخيرا ، واضعا يديه على
وركبيه وعيناه تلتهبان غضبا .

- أنت لا تسهلين الأمور على .

قال لها ذلك مصرا على أسنانه .

- وأنا لا أريد أن أجعلها سهلة . . أريد أن
أجعل هجرك لى بالغ الصعوبة . . لأننى . .

.

- ما بالك تتضرعين الى أن أبقى بينما
أوضحت لك أن هذا آخر ما أريده فى هذا
العالم ؟ فأنا لا أطيق رؤيتك ؟

– لكنك الليلة الماضية . .

– بات ذلك من الماضي . كانت غلطة

مروعة . اضطرابا عقليا ، وهذا ما لا أريد أن

يتكرر ثانية .

– لم يبد لي الأمر كذلك .

ولكن أى خبرة كانت لها فى هذه الأمور ؟

فقبله لم تعرف سوى علاقة واحدة عابرة

خلت من العلاقة الفعلية . . كان حبها
لكرستيان شيئاً عادياً بالمقارنة مع النار التي
أشعلها رونان فيها . . نار لم تكن تدرى
بوجودها ، نار دمرت عالمها من شدة قوتها ،
وجعلت زمام الأمور يفلت من يدها . فقد
أصبحت بين ذراعي رونان امرأة أخرى .
امرأة عاشقة محبة .

وانفجرت فيه قائلة : ((كانت رغبتك في
ذلك تضاهي رغبتى تماماً . .)) .

– ليست النساء وحدهن قادرات على

تزييف مشاعرهن .

رد رونان عليها بقسوة اضطربت لها أفكارها

.

.

– آه ! علمت الآن أنك تكذب ، لان لا

شئ في ليلتنا الماضية كان زائفا .

لو صدقت كلامه ، لتدمر كل شئ . . كل

ذكرياتها عن ليلة عرسها . . الليلة التي

اعتقدت أنها سجلت فيها بداية أروع جزء في

وجودها . . الليلة التي أدركت الآن أنها لن

تحصل على سواها في حياتها الزوجية .

لم تكن تعلم شيئاً عن المنزل أيضاً ، فقد
كانت مفاجأة أتحفها رونان بها في آخر لحظة
أيضاً عندما غادرا قاعة الاستقبال واستقلا
السيارة . لقد حسبت أنها سيقصدان المطار
ومنه الى المكان الذى سيقضيان فيه شهر
العسل . وبعد أن توارى عن الأنظار آخر
الملوحين بأيديهم قال لها :

((تغيرت الخطة ، ستقلع طائرتنا عند الثالثة
من بعد ظهر غد)) .

- ولكن أين سنمضي ليلتنا ؟ .

فأجاب بابتسامة صغيرة غامضة : ((دعي الأمر لي ، لقد تدبرت كل شيء . سلمى أمرك لي وانظري ماذا يحدث)) .

.

ارتجفت وهى تعود بأفكارها الى تلك اللحظة
، وتسمع تلك الكلمات مرى أخرى ، اذ أن
شيئا ما فى الطريقة التى تكلم بها رونان جعلها
تشعر بالغثيان .

فى الليلة الماضية ، أنهكتها أحداث النهار
ونشوة التفكير فى أنها أصبحت ((السيدة
رونان غيرين)) ، فلم تشعر بهذا الخطر
المحدد .

– أتلهف لأكون معك .

تمت ذلك بحب وهي تداعب بيدها ذراعه
وابتسمت عندما رآته يجفل بشكل غريزي . .
فزجرها ضاحكا :

((حاذري من تصرفاتك ، أيتها الساحرة))

.

ولكنها تجاهلت احتجاجه قائلة :

((طيلة الشهرين الماضيين وأنا أتوخي الحذر

في تصرفاتي مما زادني احباطا)) .

.

- وذنّب من هذا؟ أذكر جيدا أنك أنت من

أصر على التأجيل حتى يوم الزفاف .

- وها قد وصل يوم الزفاف ، وليس علينا
ان ننتظر أكثر من ذلك . اننا الآن زوجان
شرعيان وأستطيع أن أفعل ما يحلو لي . .

زادت من ملامستها له مبتسمة وهي تسمع
صوت تنفسه .

- ليلي . . أرجوك . . كوني عاقلة .

– آه ، سأكون عاقلة .

لكن لهجتها منحت كلماتها معنى غير الذى
كان يقصده .

– سأكون عاقلة جدا ، لا بل أفضل من
عرفت من النساء . ولكن لم لا تضغط على
البنزين ؟ أريد أن أصل فى أسرع وقت ممكن

.

– سمعا وطاعة !

.

وانطلق رونان بالسيارة بسرعة البرق متجها
الى ناحية الريف .

استحال دفء النهار ، الى مساء خانق غير
مريح بينما كانت السيارة تعبر طريقا متعرجا
لتصل في نهايته الى مبنى فخم .

– أوه . . .

أخذت ليلي تحديق فيه بحيرة واعجاب بالغين

.

كان المنزل مبنيًا من حجر قد نعه مر
السنين ، وله مدخل أنيق مزين بالأعمدة ،
ونوافذ يعكس زجاجها تألق الشمس المائلة
إلى الغروب ، أما نصف الواجهة الأمامية

فكان مغطى باللبلاب المعترش الذى امتد

فوق سطح مستنبت زجاجى من العهد

الفىكتورى . .

- ما أروع هذا المكان ، لمن هو ؟

- بيتك .. وبيتى .

- بيتنا ؟

بلغ الذهول منها مبلغا فلم تلحظ الفاصل
الواضح بين كلمتي رونان ، وتابعت قائلة :
((ولكن كيف ؟)) .

– لقد اشتريته . أليست هذه هي الطريقة
المعتادة لاقتناء منزل .

- طبعا ، أعرف هذا .

وقرصته في ذراعه مداعبة : ((متى . .)) .

- وقعت العقد الأسبوع الماضي ، آه ،

أعرف . .

كان قد لاحظ التعبير على وجهها ففسره

بدقة :

((قال كونور انه كان على أن أستشيرك ،
ولكن حالما رأيت البيت ، أدركت أنه
سيعجبك جدا)) .

– وكنت محقا .

خفف واقع تفهمه لها من الوخزة الحادة التي
شعرت بها وهي تخاله من الاستبداد بحيث
يتخذ القرارات من دون الرجوع اليها .

- كانت شقتك تلك ستعوقنا عن الحركة . .

اخترت هذا المنزل لأنه قريب من المدينة

فتمكين من الذهاب يوميا لمراقبة عملك .

وبصفتك صاحبة أحسن متجر للزهور ،

عليك أن تقطنى فى مكان أرقى من ذلك

الصندوق ذى الغرفة الواحدة .

- كما أنه ليس بعيدا عن الطريق العام .

•

- والآن ، هل تأملته بما يكفي ؟ فالعاصفة
على وشك أن تهب ، وان لم نسرع بالدخول
، فسيغرقنا المطر قبل وصولنا الى الباب .
وسرعان ما صح كلام رونان . . اذ ما أن
أخرجنا حقائبهما من السيارة ووضعاهما في
الردهة ذات القرميد الأبيض والأسود ، حتى

دوى الرعد وبدأت الأمطار تضرب على

النوافذ .

– آه ، ما أقربه !

وقفزت بشكل مبالغ فيه ، والتصقت برونان

.

– لا أظنك تخافين من الرعد ؟

نظرت الى وجهه المذهول ، ضاحكة : ((أنا

لا أخاف منه ، ولكنه عذر ملائم لكى

ألتصق بك)) .

.

وجذبتة اليها ، وعانقته بعنف ، وهى تأمل

خفية أن يستحثه هذا على التجاوب معها .

لكنه لم يبادلها مشاعرها بل خلع نفسه من

عناقها ، وأمسك بيديها الاثنتين قائلاً :

((هذا يكفي ، ألا تريدان أن ترى بيتك

الجديد ؟)) .

- ربما غرفة النوم .

وابتسمت بنجبت : ((أما بقية المنزل فأراه في

وقت لاحق)) .

كان منزلا واسعا ، مليئا بالممرات القصيرة .
وبينما كانا يتفحصان كل شبر في المنزل ،
أرخی الظلام ستاره ، وتحول الرعد الى زئير
منخفض بعيد وتوقف البرق عن الوميض .
خلف تراجع العاصفة موجة من البرد القارص
 . وعندما عادا الى غرفة الجلوس الأنيقة لم
تمالك ليلي نفسها من الارتجاف ، فقطب
رونان جبينه قائلا :

((هل تشعرين بالبرد ؟ هل أشعل المدفأة

قبل أن نتعشى ؟)) .

نظرت ليلي الى المدفأة الواسعة التي يعلوها
رف خشبي ويحيط بها قرميد مزخرف ، وازداد
ارتجافها الذي تحول الى خوف حقيقي ، ثم
أجابت بسرعة :

((لا ، شكرا)) .

– لكن البرد قارس ، والجلوس أمام ضوء

لهب المدفأة يخلق جوا شاعريا .

لهب المدفأة . .

ووجدت ليلي نفسها تعود الى الماضي . . انها

ترى الآن غرفة اخرى ، غرفة مختلفة تماما عن

هذه الفسحة المطلية باللونين الأخضر

والذهبي .

انها ترى الآن ذلك الأثاث المريح الرث ،

وشجرة عيد الميلاد المنتصبة في احدى الزوايا

، والزينة الورقية المعلقة على الجدران ،

والمجسمات الصغيرة لبيوت وأشجار وبابا

نويل .

وأمام اللهب ، وقف صبي صغير أشقر الشعر

مادا يده الى شمعة ، ثم جمده مكانه عندما

صاحت به محذرة . في تلك اللحظة

استطاعت أن تمنع ديفى . ولكن النيران
اشتعلت في ما بعد فجأة ، ووصل لهيها الى
الزينة الورقية على الجدران ومنها الى الستائر
، ليشتعل المكان ويتحول الى كتلة من النيران
المضطربة . .

- ليلي ؟

أعادها صوته الى الحاضر وهي تطرف بعينيها
مشتتة الذهن لحظة . ولكنها ما لبثت أن

أدرکت أن الواقف أمامها ، هو رونان وأنه
هو الذى تلفظ باسمها . عند ذلك ، أرغمت
نفسها على الابتسام :

((لا تشعل النار ، فالبرد ليس شديدا . كل
ما أحتاج اليه هو شراب ساخت يدفئني . .
وذراعاك حولي)) .

يوما ما ستخبر رونان بقصة تلك الليلة المريعة

. . فهي لم تتمكن من تحمل اخباره عن

الحادث الذى تعرض له والداها .

ولكن ليس الليلة . . فلا المكان ولا الزمان

يسمحان بذلك . قد يفسد هذا عليهما هذه

الليلة الخاصة التى طال انتظارها لها .

- هل فى قصرِكَ هذا طعام ؟

- طبعا ، سبق وأخبرتك بأننى تدبرت أمر

كل شئ . . تعالى معى .

أخذها الى مطبخ ريفى واسع من دون أن
يجولا فى المنزل . كان على المائدة المصقولة
المصنوعة من خشب الصنوبر ، أطباق صينية
فاخرة تحتوى على أنواع مختلفة من اطعمتها
المختلفة .

- هيا ، تفضلى .

دهشت ليلي حين أدركت أنها تتضور جوعا .
كانت من التوتر هذا الصباح بحيث لم تذق
شيئا من الطعام . وأثناء الغداء ، ملأت طبقا
بمختلف أنواع الطعام وأخذت تأكل بنهم ،
وهي تشكر رونان . وعندما انتهت هتفت

قائلة :

((كان الطعام لذيذا للغاية)) .

انتبهت فجأة اليه جالسا أمامها يراقبها عن

كثب من دون أن يأكل شيئا . نظرت

متسائلة في تينك العينين الرماديتين اللتين

بدتا الآن قائمتين .

- أأست جائعا ؟ هذه الفطيرة لذيذة جدا .

تناول بعضا منها . .

وناولته قطعة صغيرة منها ، ولكن بدلا من أن
يأخذ الشوكة منها ، مال نحوها حتى أصبح
وجهه على مقربة من وجهها ، وفتح فمه
وكأنه طفل صغير . .

وضعت القطعة على لسانه باسمه ، واذا بها
تشعر نفسها كالمسحورة ، غير قادرة على
رفع نظراتها عنه وهو يمضغ الطعام ثم يتلعه
بحذر ، من دون أن يحول عينيه عن عينيها .

سألته بصوت ازداد بحة وعمقا :

((ماذا تريد أن تأكل بعد الخبر ؟)) .

قطعة صغيرة محمصة مدهونة بالزبد ، تبعثها
بقطعة جبن . لكن ليلي استعملت هذه المرة
أصابعها في اطعامه . وخفق قلبها وهي تشعر
بفمه الدافئ ينغلق على أناملها .

– بعض السلمون المدخن . . واهليون . . و

. .

أخذت تسرع في انتقاء الأطعمة ، حتى لا

تبعد نظراتها عنه . كانت عيناها تعودان

بسرعة الى نظراته الثاقبة المصممة بينما

أصابعها تتحرك وحدها فوق أطباق الطعام .

.

بدأت أنفاسها تتسارع ، وخفقات قلبها
تشتد قوة ، وشعرت بجسمها يستحم بوهج
الشمس الساطع بدلا من ضوء القمر الهادئ

•
- آه ، وهذه حبات الفريز . .

تحرك هذه المرة بسرعة أكبر مما كانت تتوقع ،
فاحتكت أسنانه بأناملها .

واذ برعشة تسرى في ذراعها ، جاعلة اياها
ترتجف . . شعرت بجفاف في حلقها فأخذت
تبتلع ريقها بحدة وتبلل شفيتها ببطء . وخفق
قلبها بعنف وهي تراه يلقي نظراته الى وجهها
المتوهج :

((أتريد شيئاً من القشدة على الفريز ؟)) .

وغرفت القليل منها من الاناء ، مبعده
أصابعها سنتيمترات عن فمه .

ابتسم رونان ببطء واغراء ، ثم مال بجذر
متعمد ، الى الأمام ، فالتهم الحبة بفمه
الداقي .

– رونان !

وعندما لم تستطع احتمال التوتر أكثر من
هذا مالت إليه تعانقه .

وعندما ابتعدت عنه أخيرا لتلتقط أنفاسها ،
كان صدره يعلو ويعبط ، وعيناها مشتبكتان
بعينيها ، فقال بصوت أجش :

((أظن . . أظن ، يا زوجتي ، أن الوقت قد
حان)) .

ثم نفض واقفا ومد يده اليها ، مشبكا أصابعه

القوية الصلبة بأصابعها البيضاء الرشيقة ،

وهو يقول بلهجة حائرة بين الأمر والتوسل :

((تعالى معى . . تعالى . . أريدك الآن)) .

.

استغرقت الرحلة الى غرفة النوم وقتا أطول
مما توقعت ليلي اذ كان رونان يتوقف عند كل
درجة ليعانقها بينما أنفاسها تشتد قوة ،
ورأسها يزداد دوارا ، مما جعلها عاجزة عن
التفكير أو النطق بكلمة مفهومة .

كانت تشعر فقط بكل عرق في جسدها
ينبض حياة .

قبل أن يصل إلى الغرفة ، رفس رونان باب
الغرفة ليغلقه . ثم أخذها بين ذراعيه ، ويده
تداعب شعرها الحريري ، وأمسك رأسها يمنعه
عن الحركة ، وأحنى رأسه الأسود ليقبلها
معلنا بذلك ، بصمت ، عن عواطفه وحبه
الذي لم يعد يقوى على إخفائه .

أما ليلي فقد تعلقته به وقد أطلقت العنان
لمشاعرها بعد أسابيع من الكبت ، مبدية
رغبتها في أن تعرف كل شيء عن هذا الرجل ،

كانت تعانقه بشوق أخذ يفتح الأبواب
لطوفان من المشاعر العاصفة التي لن تغلق
الأبواب أمامها بعد اليوم .

أحنى رأسه المزهو الى بشرتها الشبيهة
بالقشدة وهو يتشمم بعمق شذا عطرها ثم
أخذ ينثر القبلات على وجهها .

فمدت يدها تتخلل شعره البنى المحمر
بأصابعها وتقربه منها أكثر وكان شوقها اليه
قد جعل تحفظها يذهب مع الريح .

حملها واتجه بها نحو السرير ، وعاد يعانقها ثم
اتكأ على كوعه وهو ينظر اليها وقد أظلمت
عيناه بالمشاعر المحمومة :

((الليلة ، يا سيدتى ، يمكنك أن تحصلى

على كل ما تريدينه)) .

كان عليها أن تفكر بتلك الكلمات المراوغة
ولكنها في خضم هذه المشاعر القاهرة لم
تشعر بخطر ما ، أو بأن هناك اشارة الى ما
ينتظرها وراء سعادتها هذه .

- أى شئ . .

- ولكن أولا . .

واستدار مبتعدا عنها لحظة ، ثم تناول علبة
صغيرة كان قد ألقاها على منضدة السرير
الجانبية ، ثم فتحها .

- لسنا بحاجة . .

.

ولكنه أسكتها بوضع اصبعه على فمها برفق

:

((بل نحن بحاجة اليها ، لا أريد أطفالا في

الوقت الحالى . أريدك لى كلك ولأطول مدة

ممكنة)) .

أرسلت هذه الكلمات فى كيانها فىضا من

البهجة الخالصة .

- وهذا يناسبني .

ومدت يدها لتداعب شعره القصير بأصابعها
، قطبت جبينها وتدمرت برقة قائلة :

((لماذا قصصت شعرك ؟)) .

- حسبت أنه لا يناسب وضعي الجديد

كرجل متزوج .

- ولكن لو كنت تعلم كم حلمت بهذه

اللحظة ، وكم كنت أتوق لمداعبته بأصابعي .

.

وأرقت كلماتها بالفعل .

وعندما رأته يجفل تحت لمسات أصابعها
متشنجًا ، ابتسمت ظافرة وهي ترى تأثيرها
عليه .

– أيتها الساحرة . . أنت تبحثين عن
المتاعب .

– أحقا ؟

وفتحت عينيها متصنعة الدهشة ، ثم تمت

تقول :

((أتعلم ؟ أظن أن هذا ما أفعله بالضبط))

.

.

وجالت أصابعها على كتفيه وكان حبها
يتضاعف كل ثانية . وسمعت نفسها تقول

ضارعة :

((رونان . . أريدك . .)) .

عند ذلك فقط ، تقدم منها ، رآته يتردد ، ثم
رأت شيئاً يشتعل في عينيه المظلمتين جعل
قلبها ينتفض بخوف غريزي . لكنها ما لبثت
أن نسيت كل شيء بعد ذلك بثانية واحدة .

ومع أنها كانت تهتف باسمه في كل لحظة
بصوت ممزق ، لم تسمعه يهتف باسمها قط .
ولم تسمعه بقول كلمة حب رقيقة تعبر عن
البهجة التي كانت تمتلكه ، واكتفى بالقول :

((تذكرى ! تذكرى هذا يا ليلي ! تذكرى !

((.

تتذكر . . وكيف لها أن تنسى ؟ كيف لها أن
تنسى ليلة عرسها الأولى بكل تفاصيلها ؟ كل

لحظة منها انطبعت في ذهنها ، ولن يمحوها
شئ من ذاكرتها طالما هي حية ، طبعا فكل ما
عرفته فيها لا ينسى أبدا .

.

.

الفصل الثالث

3 - العذاب . . رجل

لا ينسى . .

لست هذه الكلمة قلب ليلي ، فسرت
البرودة فيها حتى العظم . . اذ وجدت
نفسها تستيقظ على الكابوس وهو كل ما
بقي لها من حياتها الزوجية . . ولكن كيف لها
أن تعيش ومشاهد تلك المشاعر قد حفرت
في أعماق روحها ؟

لكنها اضطرت للخروج من هذه الذكريات

لأن رونان قال شيئاً لم تسمعه ، ولم تفهمه ،

فطرفت بعينها من دون أن تفهم :

((من الأفضل أن نتكلم في الداخل)) .

ونظرت اليه بارتياح ، وهي تردد : ((نتكلم

((.

لاح لها بصيص من الأمل . . وكأنه يريد فتح
باب للنقاش ، بدلا من الاكتفاء بتوجيه انذار
نهائى .

عليها أن تنزل عن السيارة ليدخلا معا الى
المنزل . ولكن ان كان وضعها السخيف هذا
يمنعه من الرحيل فلن تتخلى عن فرصتها
الوحيدة . فأجابته بتوتر :

((هل هناك ما نتحدث عنه ؟ قلت لي ان
كل شئ انتهى وها أنت تقول الآن انه علينا
أن نتناقش . .)) .

وسكنت بحدة وهي تراه يهز رأسه بغضب ،
وقال بعناد :

((لا مجال للمناقشة ، أردتك فقط الى أن
تصغى الى)) .

– لن أتحرك من مكاني اذن ، يمكنك أن

تتكلم هنا .

.

حاولت أن تصلح من جلستها ، لتواجهه .
ولكنها ما ان تحركت على المعدن المصقول
حتى كشفت العباءة غير المزررة عن جزء من
جسمها . وكان يصعب عليها تدارك ذلك ،

اذ كان عليها أن تبسط راحتها على المعدن

كى لا تنزلق على الأرض .

– آه ، بحق الله عليك .

لم تجد ليلى وقتا لتكهن ما ينوى فعله ، واذ

بها تطلق صرخة ذعر حادة عندما وضع

ذراعا تحت كتفيها وأخرى تحت فخذها

ودفعها عن السيارة .

– رونا . . أنزلى على الأرض .

لكن احتجاجها العنيف ذهب هباء ، لأنه
زاد من ضغط ذراعيه الفولاذيتين حولها حتى
لم تعد تستطيع الحراك . وسار بها نحو باب
البيت وهو يتمتم قائلاً :

((لم أحملك عند العتبة وأنت عروس)) .

.

أثارت لهجة السخرية التي تكلم بها توترها . .
رفس رونان بقدمه الباب ، ودخل الى غرفة

الجلوس الأنيقة بلونيهما الأخضر والذهبي ،
ليلقى بها على كرسى كبير دونما اهتمام .

– والآن .. آه ، لا

وتحرك بسرعة وهو يراها تقف محاولة أن
تهرب ، وقبض على كتفها بقوة ليعيدها الى
الكرسى وثبتها عليه .

– أى نوع من المزاح هذا يا رونان ؟ الأمر
ليس مضحكا ، صدقنى . .

– لست أمزح ، هل أبدو مبتهجا ؟

قال ذلك بلهجة خشنة خالية من المزاح ،
تدل على رغبته بالانتهاء من هذه المسألة .
لم يتوقع منها قط أن تقاتل طويلاً بمثل هذه
الشراسة ، فقد حسب أنه في مثل هذا
الوقت ، سيكون بعيداً عن مدينة ((ادجرتن
((وقد أنجز رسالته ، تاركاً حطام زواجه
المزعوم خلفه ليملمها ((ديفى كورنويل)) ،
ان عاد الى الظهور .

ولكنه ، غير قادر على الابتعاد . وكأن ليلي
أصبحت جزءاً لا يتجزأ من حياته . والأسوأ

من ذلك ، هو أنه بدأ يشعر بالأسف نحوها .

. ولكن عليه أن يكبح مشاعره ، لأن

الشفقة عى عاطفة لا ينبغي أن يدخلها فى

حسابه .

– أخبرينى شيئاً . هل كنت صادقة عندما

قلت انك أحببت هذا البيت ؟ .

.

أربكها تغييره المفاجئ للموضوع . . ومع أنها
لم تعرف سبب هذا السؤال ، لم تستطع سوى
قول الحق :

((طبعا أحببته ، انه رائع الجمال ، ولكن . .
((.

– اذن فهو لك .

بدا لها وكأن الأرض قد زحفت تحت قدميها

ولم يعد تحتها شيء ثابت تقف عليه .

– ولكن لا بد أنه كلفك كثيرا .

– فقال بعدم اكتراث :

((تقريبا ، لكننى كنت أعلم أننى اذا

تزوجتك فستتوجب على مسئوليات قانونية ،

وتقبلت فكرة أن أدفع لك نفقة . .)) .

– لا أريد أموالك ! أنت تعرف أنها ليست

سبب زواجى بك .

– حسنا ، هذا كل ما أستطيع أن أقدمه لك

.

– ولكن لماذا ؟

وهزت رأسها بارتباك ، وقد أثار سلوكه

حيرتها :

((لماذا تزوجتني اذا . . ؟)) .

.

لم تستطع أن تكمل كلامها بعد أن سمرها في

مكانها بنظرة وحشية مفاجئة من عينيه

الشفافتين . لكن وميض الخطر الذي أجم

لسانها تناقض مع اللامبالاة التي هز بها كتفيه
وهو يقول محذرا : ((لا تسألني يا ليلي ، لأن
الجواب لن يعجبك)) .

ولكنه لن يخبرها ، مهما كانت الشماتة التي
قد يحصل عليها نتيجة اطلاعها على القصة
بأكملها . فقد عاهد نفسه على أن يتكفل
ديفي بالموضوع . ليواجه ما يعنيه تدميره لحياة
أخته ، وتخطيمه لحياتها بسبب سلوكه الأثيم .

وردت ليلي بجدة : ((ليس الجواب هو الذى
يقلقنى ، بل السؤال وحثك اياي على طرحه
((.

رباه ، ليته لا يرى تأثير تعليقه الأخير ذاك
عليها !.

فأكثر ما آلمها هى تلك اللهجة العفوية
الخالية من المشاعر ، وصوته الهادئ
المسترخى .

هل هذا هو حقا الرجل الذى تعهدت أمام
الكاهن بأن تحبه وتحترمه بقية حياتها ؟ أهو

الرجل نفسه الذى قطع لها العهد نفسه أمس
فقط ؟

دقت الساعة العاشرة والنصف ، وشعرت
بطعنة سكين فى قلبها وهى تتذكر أنها فى مثل
هذه الساعة من صباح أمس ، كانت عائدة
مع صديقتها ((هانا)) من محل مزين الشعر
وهما تضحكان والبهجة تملأ قلبها .

ولكنها كانت متوترة أيضا ، من المستقبل
الذى ينتظرها . . فهى لم تقدم على الزواج
عن طيش ، بينما رونان . .

منحها الغضب قوة لم تعهدها من قبل ،
فأزاحت يده جانبا وهبت واقفة وقد التهبت
عيناها .

- تعهدت أمس بأشياء معينة ، وأعنى تلك
العهود المقدسة يا رونان ! ((أريد أن أحبك
وأعيش معك وأحمل أطفالك)) . . العهود
التي نطقنا بها عند عقد الزواج .

أتراها وصلت أخيرا الى أعماقه ؟ فقد لحت
تغيرا في ملامحه . اذ أرجع رأسه الى الخلف
بعنف وأسبل جفنيه على عينيه الفولاذيتين .

فتابعت تقول :

((وظننتك تعنى ما تقول . . فان لم يكن
ذلك صحيحا ، وان جئت بي الى هنا بدعوى
زائفة ، فأقل ما يمكن أن تفعله ، هو أن

تعطينى تفسيراً . . انك تدين لى بذلك على

الأقل ((.

– أنا لا أدين . . !

بدت لهجته المنخفضة هذه مخيفة ، لكنها لم

تدع نفسها تتأثر بها ، لأنها كانت تجاهد فى

سبيل حياتها التى حصلت عليها . .

– أريد جواباً ، يا رونان .

تحولت عيناه ، هذه المرة ، عن وجهها وقد

عجز عن مواجهة نظراتها العنيفة المتألّمة ،

وانخفضت عنها فجمدنا فجأة وكأنهما شلتا

عن الحركة .

- رونان !

- تسترى .

- ماذا ؟

- قلت لك تسترى .

.

ولم تدرك أن عباءتها كانت تكشف عن جزء
من مفاتها الا بعد أن مد هو يديه يسويها
ويضع جانبها الواحد فوق الآخر .

توهج وجهها بمزيج من الاضطراب والتوتر ،
وهو يقول صارا أسنانه :

- ربما تمكنت من اغوائى ليلة أمس ، لكن
هذا مستحيل الآن .

- وربما سمحت لك بأن تنقض علي بمخالك
حينذاك ، لكن ذلك لن يتكرر أبدا .

- هبت في وجهه تتحداه وهي تنتزع نفسها
منه مبتعدة عنه . وجاهدت لتمحو من صوتها
آثار الكدر والجرح في كرامتها ، وسرها أن
تجعله هادئا كما كانت ترجو .

فقال بابتسامة قاسية :

((لم تسميها مخالب الليلة الماضية ، حتى

أنك تضرعت الى . .)) .

- حسبت الليلة الماضية أننا متزوجين !

فأوما ببرودة : ((هذا صحيح . وهذا هو
الأساس في كل هذا ، أليس كذلك يا حبيبتى
؟)) .

لكن لهجته كانت أبعد ما يكون عن التحجب
.

- أتريدين حقا أن تعلمي لماذا تزوجتك ؟

لا . . . توصل قلبها اليها أن تتفوه بهذه

الكلمة ، وتصرخ أنها لا تريد أن تسمع كلمة

مما سيقول . . فبصيص الأمل في الخلاص

الذى لاح لها فى الأفق ، عندما ركضت خلفه

، انطفأ الآن . .

لكن المنطق حثها على المطالبة بالسبب ،

وبالرغم منها ومن توسلات قلبها واحتجاجه

، وجدت نفسها تومئ هامسة بشفتين جافتين

:

((نعم)) .

.

وجد نفسه عاجزا عن اخبارها الحقيقة ،
خاصة وهي تنظر اليه بهاتين العينين الكبيريتين
الذهبيتين ، وقد بدت ، أشبه بغزاة صغيرة
تلاحقها كلاب الصيد . وأخذ يلعن بصمت
أخاها الغائب ، آملا من صميم قلبه لو
يستطيع أن يضع يديه حول عنقه ويخنقه .

لكن عليه أن يقول شيئاً ، شيئاً فظيعاً يجعلها
تتركه يذهب من دون اللحاق به . . وهذا
لمصلحتهما معا .

– انها الطريقة الوحيدة للتقرب منك .
للهولة الأولى لم تفهم تماما ما يعنيه ولكنه
أضاف قائلا :

((كنت أرغب فيك الى درجة اننى لم أتوان
عن الزواج بك . .)) .

لكنه لم يكمل جملته اذ رفعت ليلي يدها من
دون وعى منها ، لتنهال عليه بصفعة مدوية .
غص رونان بريقه ، ثم رماها بتلك الابتسامة
القاسية وهو يقول :

((قلقك لك ان الجواب لن يروق لك)) .

- أيها النذل .

للحظة واحدة ، ظهر في عينيه بريق خطر
جعلها تخشى انتقامه . لكنه سرعان ما سيطر
على نفسه وهز رأسه قليلا :

((أظني أستحق هذا . هل أنت مسرورة
الآن ؟)) .

- لا أظني قد أكون يوما أسوأ حالا .

مضت لحظة لم تستطع فيها أن تفهم لماذا
أحبته ، أو أقنعت نفسها بذلك . لا بد أنها
كانت مخطئة فكيف لها أن تحب رجلا كهذا ؟
ولكن رونان الذى عرفته ووقعت فى حبه كان
مختلفا .

طردت هذه الفكرة الضعيفه من ذهنها الى
الأبد . . فرونان الذى اعتقدت بأنها تحبه ،
هو نفسه هذا الشيطان الذى يقف أمامها .
وان حاولت التفكير عكس ذلك ،

فستضعف أمامه ، وتمنحه الفرصة للاساءة

اليها من جديد .

- اخرج من هنا ، يا رونان .

قالت ذلك وقد أراحها أن تسمع صوتها

هادئا منضبطا حتى لا يشك في قوة اقتناعها

بما تقول .

- اخرج واياك أن تعود ثانية .

- ان لم تخنك ذاكرتك ، فأنا من خطط لهذا

منذ البداية . وأنت من أعادني رغما عنى الى

البيت .

.

- حسنا ، أفضل الموت على أن أعاود
الكرة ، فجل ما أريد الآن هو أن ترحل من
دون عودة .

- وهذا يناسبني تماما . الوداع ، يا ليلي .
ليتني أستطيع القول اننا أمضينا وقتا طيبا .
وانحنى ساخرا قبل أن يستدير على عقبه .

أخذت ليلي تنظر اليه بصمت أخرس ،
وعندما اقترب من الباب توقف ، واستدار
ببطء قائلاً :

((الحق معك ، يا حبيبتى ، فأنا نذل .
ولكن عليك أن تسأل نفسك عما جعلني
كذلك)) .

- لا يهمنى ! ولا أريد أن أعلم . . لا أريد
أن أعلم أى شئ عنك ! فكيف لى أن أميز
بين الحقيقة والكذب فى حديثك ؟

- الحقيقة .

وأتبع هذه الكلمة بضحكة خشنة ساخرة
بعيدة عن الهزل :

((آه ، نعم . الحقيقة . حسنا ، ليلى ،
حببتى ، ان كنت تريدان معرفة الحقيقة كلها
، فلن تجديها عندى . . ان ذلك الجواب

الذى آملك هو جزء بسيط فقط من الحقيقة

. فان أردت معرفة القصة كلها ، فعليك أن

تسأل أخاك . . هذا ان شاء ان يخبرك . .

والآن ، سأرحل . . حقا)) .

تركته هذه المرة يرحل ، اذ ما بيدها حيلة .

.

وقفت تراقبه ، وهو يصعد الى سيارته ويشعل

المحرك بهدير ينبئ بخروجه عن هدوئه

وانضباطه .

عضت شفتها بقوة ، رافضة السماح

لدموعها بأن تنهمر قبل أن يغيب رونان عن

ناظرها .

كانت الساعة الثانية عشر . في مثل هذه

الساعة ، كانت تقف أمس على درجات

الكنيسة باسمه سعيدة ، وعريستها الى جانبها

. . بقيت زوجة له أربعاً وعشرين ساعة

بالضبط وها قد انتهى الآن كل شيء .

كانت الشمس ترسل أشعتها من السماء

الزرقاء الصافية . انه يوم ربيعي رائع . . يوم

رائع كان من المتوقع أن تبدأ فيه حياتها

الزوجية . ولكنه تحول الى يوم وضع حدا

لزواجها حتى قبل أن يبدأ .

– اسألني أخاك . . اسألني أخاك .

بقيت هذه العبارة التي ودعها رونان بها ،
تتردد في ذهن ليلى طوال الأيام الأربعة التي
تلت .

ذلك الجواب . . هو جزء بسيط من الحقيقة
، فان أردت معرفة القصة كلها ، فعليك أن
تسأل أخاك . . هذا ان شاء أن يخبرك .
كانت ستفعل لو أمكنها ذلك ، ولكنها لا
تعرف شيا عن ديفى .

عندما حدا ، هي ورونان ، موعد ذلك
الزواج المنحوس ، بذلت جهدها للعثور على
أخيها المفقود ، ولكن من دون جدوى .
منذ ثلاث سنوات وأخوها غائب عن حياتها
. . فيوم عيد ميلاده السابع عشر ، عادت
الى البيت لتجد غرفته مرتبة على غير العادة
وخزانة ثيابه فارغة من ملابسه . واختفت
فيثارته المحبوبة . فأدركت أنه لن يعود تقريبا .

ساورتها الشكوك أو الآمال ، لكن الورقة
التي وجدتها على وسادتها بددتها كلها .
- أنا راحل لأجمع ثروة وأكتسب الشهرة .
انتظري ظهورى على شاشة التلفزيون قريبا
جدا .

وختم الرسالة بالتوقيع الذى أصبح يستعمله
، محتقرا اسم أسرته ومعتبرا اياه صبيانيا
بالنسبة الى نجم ((روك)) مثله .

جاءت فجيعتها في هجر ديفى لها ، لتحل في
المرتبة الثانية بعد فجيعتها في موت والديها
المبكر . ومع مرور الزمن ، تحول ألمها لفراقه
الى شعور بالخسارة ، فعاشت وهى تشعر
بفجوة في حياتها وحده يستطيع أن يملأها .
وعلاوة على سخرية الحياة المرة التى شغلت
بالها نهارا وأرققتها ليلا ، أدركت الآن أن رونان
هو الشخص الوحيد الذى كان على صلة
بأخيها بعد أن ترك البيت .

– ان أردت أن تعرفى القصة بأكملها ،

فعليك أن تسألى اخاك . .

كلماته هذه لا تعنى الا شيئاً واحداً . أن

ديفى . . العنيف والأحمق أغضب رونان

بطريقة أو بأخرى وأشعل فى نفسه رغبة محرقة

فى الأذى والتدمير . ولكن ما الذى فعله يا

ترى فولد هذه الرغبة بالانتقام لدى رونان ؟

.

كان عليها أن تبدأ بالبحث عنه من جديد ،
وتقتفى كل أثر له . ولكن لبحثها هذه المرة ،
أهمية أكبر بكثير بعد أن أضيفت إليه تلك
الرغبة الساحقة في معرفة مدى تورطه مع
رونان .

منحت نفسها أسبوعا ، لتضمد جراحها
وتدرف الدموع التي أقسمت على ألا يراها
الناس .

وعندما انتهى ذلك ، ملمت شتات نفسها ،
واستجمعت قواها ، لتصنع درعا تحيط به
نفسها قبل أن تواجه العالم مرة أخرى .
لكنها من البشر وتحتاج الى من يساندها ،
ويساعدها في محنتها . فاتصلت تليفونيا
بأفضل صديقاتها ، قبل أن تخونها أعصابها
كلية .

- هذه ، أنا ليلي ، أحمل لك خبرا سيئا
للغاية .

كل ما كانت ترجوه هو ألا يتداول الناس

الموضوع لوقت طويل .

لكن ذلك الأمل لم يتحقق ، فبالرغم من

مضى أربعة أسابيع على عودتها الى العمل ،

بقيت المدينة تضج بخبر الزواج الذى فشل .

- هذا ليس عدلا !

قالت ليلي هذا شاكية لصديقتها هانا التي

مرت عليها فى الحانوت بعد انصرافها من

المدرسة حيث تعطى دروسا فى التاريخ .

- كان من المفروض أن يحدث شيء آخر

يشغل الناس عنى .

- ولكن شيئاً لم يحدث ، وجاء سوء حظك

من السماء ليتسلى به الناس ، ولا يمكنك أن

تلومهم ، لأن مدينة ((ادجيرتن)) لم تشهد

عرسا مثل عرسك . وعليك أن تعرفى بأن

رونان مختلف عن رجال المنطقة .

- هذا صحيح .

وتنهدت ليلي باكتئاب وهي تتذكر شعورها

حين وقعت لأول مرة عيناها على قامته

الطويلة ، وتقاطيع وجهه الرائعة ، وعينيه

الزرقاوين الفولاذيتين وشعره القاتم اللامع .

- وبما أنك تعملين في ميدان تصميم الأزهار

..

- ما هذه المبالغة

ردت عليها ليلي ساخرة . . ربما بشكل
أقوى مما كانت تقصد اذ حاولت أن تصرف
ذهنها عن المجرى المؤلم الذي أخذته .

سألتها هانا مؤنبة :

((وكم عدد النساء في هذه المدينة اللاتي
دخلن دنيا الأعمال ، واكتسبن في مدة ست
سنوات شهرة أحسن منسقات للأزهار . .
أسفة ، بل مصمات أزهار ، في المنطقة ؟
((.

أخذت ليلي تتذكر بتعاسة . انها تعرفت على
رونان من خلال عملها . فقد طلب منها
تنسيق الأزهار لعرس الابنة الوحيدة لأحد
الصناعيين الأثرياء .

وبصفته شريك ((فرانك هودغسن)) في
العمل كان رونان من بين المدعوين . وبعد أن
عرفتهما والدة العروس على بعضهما البعض
دعاها الى الرقص .

- كنت محظوظة لا غير .

فشخر صديقتها ساخرة : ((محظوظة ؟ ليس
للحظ علاقة بهذا يا ليلي ؟ انها الموهبة
والعزيمة والعمل الشاق . فعلى الرغم من
فجيعتك بوالديك ، وأنت في سن المراهقة
شقيت طريقك لتصلى الى النجاح ، كما أنك
ربيت ديفى أحسن تربية ، وان كان هناك من

يستحق السعادة ، فهو أنت . . وكنت

أظنك وجدت ذلك مع رونان ((.

وتغيرت ملامح هانا ، واستحال وجهها

الباسم بطبيعته قاسيا عدائيا :

- ليتنى أستطيع الامساك به . .

فردت ليلي عليها بسرعة :

((هانا . . أرجوك)) .

- قد تحدثنا عن قصة رونان مرات ومرات ،

ولم نصل مع ذلك الى نتيجة .

في الأسابيع القليلة الماضية ، تعلمت ليلي أن
تتكيف مع ما حصل لها ، فالجراح التي سببها
رونان لها كانت أكثر عمقا وتعديبا من أن
تلتئم . ولكنها شغلت نفسها في عملها
لتصرف ذهنها عن آلامها .

- لا أريد أن أتحدث عن الموضوع ، حتى
أنى لا أريد التفكير . .

ولحسن الحظ ، قاطعهما في تلك اللحظة

طرق على الباب ، ثم أطلت ((هيثر))

مساعدها قائلة :

((ثمة زائر لك ، يا ليلي ، يقول ان الأمر

شخصي)) .

وقفز قلب ليلي من مكانه .

.

أيعقل ذلك ؟ لم تعرف ما اذا كانت راجية أم

خائفة . . ما الذى قد يساورها من مشاعر

ان كان رونان ؟ ما الذى ستقوله له ؟ وبينما

كانت تجاهد لاستجماع شئ من ضبط

النفس ، صدمت وقد بدا زائرها على عتبة

الباب .

لم يكن رونان . . كان شعر الزائر مشوبا بلون

فضى وقد انسدل على كتفيه بشكل

عشوائى غير منتظم أما عيناه فهما بنيتان

داكنتان . بدت وجنتاه بارزتي العظام ،

فانقبض قلبها حزنا عليه .

– ديفى !

كان آخر شخص توقعت أن تراه . وعبر
صوتها عن مدى افتقادها له خلال الثلاث

سنوات الماضية .

شعر ديفى بذلك ، فالتوى فمه وهو يقف

بارتباك أمامها .

– مرحبا يا أختاه ، هل دهشت لرؤيتي ؟

كانت لهجة تنطوى على شئ من الغرور

الممزوج بالتمرد .

- أدهشني . . أواه ، يا ديفى !

نهضت واقفة ، واندفعت اليه مفتوحة

الذراعين لتحتضنه مرحبة . ولم تستطع أن

تمنع نفسها من الارتجاف وهي تشعر بنحول

جسده الرقيق .

مهما كان العمل الذي قام به ديفى ، الا أنه

بدا واضحا أنه لم يحرز النجاح الذي حلم به

. . وقد خيل اليها أنه لم يذق الطعام منذ

فترة طويلة .

- لقد غبت فترة طويلة ، أين كنت ؟

اشتقت اليك كثيرا .

- وأنا أيضا اشتقت اليك .

- حان الوقت لتعود يا فتى . كادت أختك

تجن قلقا عليك ، أما كان ينبغي عليك أن

تتصل بها من وقت لآخر لتخبرها بمكانك ؟

- كنت . . . مشغولا جدا . والوقت يمر

بسرعة .

– كم يستغرق الاتصال التليفوني من الوقت

؟

– فقالت ليلى بسرعة :

.

((هانا ، انه هنا الآن ، وهذا هو المهم ، هل

ستبقى ، يا ديفى ؟)) .

– ان كان ذلك ممكنا .

وفجأة ، نظر اليها مباشرة وقد ضاقت عيناه

وقال :

((سمعت أنك كنت تبحثين عنى ، هل من

مشكلة ؟)) .

– مشكلة ؟

لم يمنع عبوس ليلى هانا من الكلام :

((هذا أقل ما يقال بشأن ما حصل)) .

ولأول مرة ، بدأ الاهتمام على وجه ديفى :

((ماذا . . . ؟)) .

فقال ليلي بسرعة وهي تراه أشبه بحصان

على وشك الجموح :

((كنت أبحث عنك لأنني أردتك أن تحضر

حفل زفافي)) .

آملها كثيرا ان تقول ذلك . . فكل كلمة

كانت أشبه بطعن سكين في قلبها المحطم .

وتابعت قائلة :

((ولكن من حسن الحظ أنك لم تحضر لأن

الأمور لم تتم بالشكل الذي كنت أريده)) .

قالت هانا ساخطة :

((آه ، لو أستطيع أن أضع يدي على رونان

غيرين)) .

– رونان غيرين !

جفل ديفى وكأنه لمس لتوه سلكا كهربائيا .

– هل وقعت فى براثن رونان غيرين ؟

– وهل تعرفه ؟

أرغمت ليلي نفسها على النطق بهذه

الكلمات ازاء الذعر الذي تملك ديفي .

- ومن لا يعرف رونان غيرين ؟ فهو يملك

عقارا لا تحصى ، ويلقبونه ب (المحيي) لأنه

يفتش دوما عن الأعمال المتداعية فيشترها

رخيصة ثم يحولها الى أعمال ناجحة . . فاذا

شملك باهتمامه ، فأنت . . .

وسكت يحاول أن يعثر بالضبط على

الكلمات المناسبة ، مما أثار توتر ليلي . .

فأرغمت نفسها على سؤاله :

((ماذا حدث ، يا ديفى ؟)) .

- غيرين يلاحقنى . أنا . .

ونظر الى هانا التى فهمت الاشارة :

((حان وقت انصرافى ، الى اللقاء ليلى)) .

ولم تكذ ليلى تلحظ خروجها ، اذ كان

اهتمامها مركزا على وجه ديفى الشاحب . .

فتقدم وجثم على حافة المكتب ، وأخذ يهز

ساقه متوترا . .

– ماذا حدث .

.

فقال وعيناه تتجنبان عينيها :

((كنت أعمل ساقيا في ناد ليلي وذات ليلة ، لم يأت المغنى ، فغنيت مكانه . وحدث أن رونان كان موجودا في تلك الليلة فسمعتني أغنى . وأخبرني لاحقا عن مدى استمتاعه

بأدائى وسألنى ان كنت أنوى امتهان الغناء .

وعندما قلت له ان ذلك هو حلمى ، قال

انه قد يساعدنى لكنه يريد أن يتأكد أولا من

أنه لن يضيع وقته سدى . وعاد فى الليلة

التالية مع مساعد له فى العمل . . وهو

صاحب محل تسجيل . . وأخذ يتحدث معى

عن عقد للتسجيل)) .

- هذا رائع !

ولكن الكلمات تلاشت على لسان ليلى

عندما رفع ديفى رأسه ورمقها بنظرة مظلمة .

– أتظنين ذلك ؟ هذا ما اعتقدته حينذاك .

شعرت بنفسى أطيّر فوق السحاب .

ورفع كتفيه النحيلتين نابذا تلك الأفكار

الحمقاء الساذجة .

– ولكن سعادتي لم تدم .

– ما الذى أفسد الأمور ؟

أبعد ديفى خصلات شعره المتهدل عن وجهه

بيد مرتجفة ، وتنهد بعمق . ثم حول عينيه عن

الاهتمام البادى فى عينيها :

((أنا من تغير وأفسد تلك الفرصة الكبرى

((.

– أخبرني يا ديفى .

– اسمعى يا ليلى ، لم تكن هذه أول فرصة لى

فى مجال تسجيل الاسطوانات . عندما

وصلت فى البداية الى لندن ، قابلت رجلا ،

ووقعت معه عقدا . ولكنه كان يأخذ الأرباح

كلها . ولم يمض وقتا طويلا حتى أدركت أنهم

تملكونى لبقية حياتى ، فخطر لى أن أهرب .

. وبالفعل نقضت العقد ، وتركت كل شئ ،

حتى أنى غيرت اسمى وانتهى بي الأمر بالعمل

كساق .

ولوى فمه بضحكة ساخرة :

.

((الا أنه لم يعد بوسعى عقد اى اتفاقيات

أخرى ، ولكن أدهشنى رونان غيرين عندما

عرض على أن يخلصنى من العقد القديم

مقابل مبلغ من المال يدفعه للطرف الآخر .

. انما بثمن ((.

عندما سمع صرخة ليلي الذاهلة ، أوما لاويا

شفتيه :

((نعم . . لقد ذهلت مثلك تماما . . لكن

شريكة أوضح أن مهنتي في الغناء تصلح

للاستثمار ، وجل ما يهم غيرين هو المال . .

المال وليس الموسيقى . فكنت بالنسبة اليه

مشروع عمل فاشل يريد احياؤه)) .

وبدت لها لمحة من ديفى القديم عندما رفع

رأسه ومنحها ابتسامة صغيرة متغطسة .

- كان يؤمن ، استنادا الى مرجع خبير ، أنني

مغن جيد . ولكنه أصر على توقيع عقود

قانونية لا يمكن دحضها . . أواه يا أختي ،

ليتك تعرفين مدى النجاح الذي حققته بعد

ذلك . .

- ولكنني لم أسمع عنك شيئا .

- آه ، لم أكن قد بلغت الذروة بعد ، اذ
كان على أن أبدأ أولاً في اكتساب بعض
الشهرة في النوادي في جنوب البلاد . ولكنني
. . فقدت صوابي قليلا . . فصعدت مرة الى
المسرح ثلثا . . فثار غضب رونان ، لأنه
انفق على مالا كثيرا . ومما زاد الطين بلة انني
حطمت السيارة وأصبح المحرك طعمة للنار .
ومع أنني كنت قد وعدته بأن أسجلها في
شركة تأمين ، لم أقم بذلك .
- آه ، يا ديفي .

– أعلم هذا .

وعبس للهجة التويخ في صوتها وتابع وهو

يتجنب نظراتها .

– أعلم أنني كنت معتوها تماما ، ولكن رونان

أوثقني بتلك العقود القانونية ، فلجأت الى

الطريقة السابقة . . وهربت ، وتخلصت من

كل شئ . الا أني ، قانونيا ، محكوم بالعقد

الذى بينى وبين رونان غيرين وهو يلاحقنى

الآن بتهمة نقض الاتفاقية . . كما أنه أقام

على دعوى للمطالبة بفوائد القرض الذى

منحنى اياه بنسبة فاحشة . . انه يعلم جيدا

أننى لا أستطيع تسديد ديونه ، مع ذلك لم

يكف عن ملاحقتى ، بطلب دمي .

.

– ارتجفت ليلي وهى تفكر فى حقد رونان

الذى لا يعرف الصفح . . ولو أنها لم تختبر

ذلك بنفسها ، لظنت أن ديفى يبالغ فى

كلامه . . لكن ذكرى قسوته فى انهاء

زواجهما ، لم يدع لها مجالاً للشك في كلام

ديفي .

- كان يتوقع أن يجني من ورائي ثروة كبيرة ،
فاذا بي أجعله يخسر الكثير من المال . . لقد
خذلته فصمم على أن يجعلني أدفع ثمن ذلك

فقالت بلهفة :

((ولكن ، لو تحدثت معه ، واعتذرت اليه ،

لا صطلحت الأمور . لقد آمن بموهبتك وان

قلت له بأنك كنت أحق وأنت من الآن

فصاعدا ستجد في العمل وتعيد اليه كل

فلس دفعه . . ألن يصغى اليك ؟)) .

كان في ارتعاش ملامح ديفى جواب كاف .

واستحال وجهه الشاحب الى وجه رمادى

اللون لمجرد التفكير في جوابها هذا .

- الأمر أكبر من ذلك بكثير ، يا ليلي . .

لن يمكنى أبدا تعويض ما فقدته ، وأنا لا

أجرؤ على مواجهته . انه يريد الانتقام ولا
يرضيه غير ذلك .

الانتقام ، وبعثت هذه الكلمة مذاقا كريها
لاذعا في فمها جعلها تشعر بالغثيان . هل
كان تودد رونان اليها مجرد جزء من انتقامه
من أخيها ؟ وهل مهزلة زواجهما مناورة
ليستغل مشاعرهما في سبيل النهاية القاسية ؟
أكان ذلك كله لأجل (المال) فقط ؟ وهل
دوافع رونان وضيعة الى حد القيام بكل هذه
الأمور . رغم أن المبلغ الذي يديت غيرين له

كبير ، الا أنها لم تصدق أن رونان قد ينحط

الى هذا المستوى .

تذكر ديفى أخيرا ، السبب الذى دفعهما الى

هذا الحديث ، فسألها :

- ولكن ما قصتكما ، أنت ورونان غيرين ؟

قالت صديقتك . . .

- آه ، لا تهتم بكلام هانا

قاطعته بسرعة اذ يكفى ما لديه من هموم .

- لا تفكر فى الموضوع .

بعد أن رأء الأرتياح على وجهه ، وقد
استرخى فى مقعده ، سرها أن تخفى عنه
الحقيقة مع ما فى ذلك من ضغط على
أعصابها . وقال فجأه :

((ما أجمل أن اراك مرة أخرى ، يا لىلى ! لم
اعرف مكانا آخر اذهب اليه . لكننى كنت
أعلم أنك سترحبين بى وتعتنين بى كما فعلت

دوما . هل يمكنى البقاء معك فترة ، يا ليلى

؟ ((.

انقبض قلبها بمزيج من المرارة والحلاوة ،
السرور والتوتر ، الخوف والتوجس . . منذ
مدة طويلة وهى تحلم بعودة ديفى الى البيت
مرددا لها هذه الكلمات . . كانت أحيانا
تخشى ألا يعود قط . . لكنه الآن هنا . .
معها .

وحده التفكير في رونان وتأثيره المهلك عليها

وعلى أخيها ، ألقى ظللاً سوداء على

سعادتها .

– أرجوك يا أختي .

.

واذ أدركت فجاء أنها عابسة ، وأنه فسر

عبوسها هذا بكرهها لعودته الى حياتها . .

وهذا آخر ما تريده ، قالت بابتسامة مرغمة

:

((يمكنك أن تبقى بقدر ما تشاء ، يا عزيزى

((.

وجاهدت فى نبذ رونان عن ذهنها ، لأنها لا

تريده أن يفسد سعادتها بعودة ديفى .

– سأحضر معطفى ونذهب معا ، سأخرج

اليوم باكرا وأدع الموظفين يغلقون المحل . .

هيا بنا الى البيت !

الفصل الرابع

4- أحملك من نفسى

.

- هيا بنا الى البيت .

أخذت ليلي تقطع الأعشاب الطفيلية بعنف

لا مبرر له وتلك الكلمة التى قالتها ل (

ديفى) تتردد فى ذهنها بعد ذلك بيومين .

لم يكن هذا بيتها . . ومع أنه أصبح ملكها

قانونيا بعد أن أرسل لها رونان الأوراق التى

ثبت ذلك ، لا يمكنها أن تعتبره بيتها بأى

شكل من الأشكال .

ولو كان لها الخيار ، لما رضيت بالبقاء هنا . .

فالمكان حافل بالذكريات المرة . . وكل ركن

فيه يذكرها بتلك الساعات القليلة التي

أمضتها مع رونان . .

كانت عاجزة عن نسيان كل لحظة في تلك

الليلة التي أمضيها هناك ، في غرفة الجلوس

أو في المطبخ الفسيح يتناولان الطعام . .

لكنها بعد زواجها تخلت عن شقتها الصغيرة
في المدينة ، ولم يعد لديها مكان آخر تذهب
اليه . فاما أن تبقى في هذا البيت ، أو تمكث
مع هانا .

لم يكن لدى ديفى أدنى فكرة عن الموضوع .
فقد اعتقد أن البيت ملك لها ، وقد أعجب
جدا بحجمه وأناقته عندما أحضرته اليه للمرة
الأولى .

وصرخ هاتفا :

((ما هذا ، يا أختاه ؟ يا له من منزل . لم
أظن قط أن بيع الزهور مربح الى هذا الحد))

فقلت بشئ من الحدة :

((هذا ليس من بيع الزهور . صحيح أن
الحانات أفضل من تلك المنصة في السوق
ولكنه مستأجر ، لم أبدأ بكسب الأرباح الا
بعد أن دفعت النفقات والأجور كافة . . ولو
أنى لم أبرع في ميدان تنسيق الأزهار
لأفلس . .)) .

- هل تجنبين ما يكفي لتسديد ديون رونان

غيرين ؟

سألها هذا مترددا ، متوقعا منها أن تهرز رأسها

نفيا ، ولكنها أجابته مشجعة :

((سنحاول ذلك ، أنا واثقة من أنه سيقبل
أن ندفع له المبلغ على أقساط)) .

– أظن أن الآوان قد فات !

– لم يفت شيئ بعد .

.

بقيت هذه الكلمات تتردد في ذهنها وكأنها
تعنفها ، فتمنت لو أنها لم تقلها . فكيف لها
أن تخبر ديفى أن الوقت قد فات حقا ، وأن
رونان بدأ بتنفيذ خطته الانتقامية . ما الذى
سيشعر به ان علم بأن عدوه مصمم على أن
يسترجع منه أكثر مما يدين له من مال ؟ .

– أظنك اقتلعت كل الأعشاب الطفيلية . .

الا ان كنت ، تنوين متابعة الحفر حتى تصلى

الى استراليا . . أو لعلك تتمنين أن تحفرى

قبرى .

كان هذا آخر صوت (تريد) سماعه . أو

على الأقل هذا ما حدثها به عقلها . ولكن

كل هذه الأفكار المنطقية لم تمنع قلبها من أن
يثب من موضعه ، وأن تتحول خفقات قلبها
الى رعد وأن يدور رأسها مسببا لها الغثيان
والسبب سماعها ذلك الصوت المألوف خلفها

.

لا يا اهلئ ، لا تجعل هذا حقيقيا . . أرجوك
يا اهلئ لئته مجرد وهم . . لئتها مجرد تصورات
ولئدة الخوف ، من أن يعوء رونان وئجد أن
دئفى عاد الى ((ادجئرتن ؟)) .

لكنها كانت كالغريق الذى ىتشبث بقشة ،
وهو يعرف ذلك جيدا . كيف لها أن تخطئ

ذلك الصوت العميق المثقل بالسخرية والهزل

؟

.

أخذت نفسا عميقا وعيناها مسمرتان على
حوض الزهور أمامها ، وقد أدركت أن رونان
محق اذ اقتلعت الأعشاب الطفيلية كلها ،
وأوشكت أن تقتلع الأزهار نفسها ، أيضا .
فتركيز ذهنها على أمر تافه كهذا ألهها عن
التفكير بالألم الذي كان يترصدها ، لحظة
تستدير فيها لتواجه الرجل الواقف خلفها .

- مرحبا يا رونان .

قالت ذلك بحذر وبصوت خال من المشاعر
. كان الوحل يغطي يديها فأخذت تمسحهما

بنظلوئها الجينز .

- لم أكن أتوقع رؤيتك مرة أخرى . ما الذى
جاء بك الى ((يوركشاير ؟)) .

- الأعمال ، وأمور أخرى .

بدا عليه الارتباك وكأنما ردة فعلها لمجيئه
خذلته . . فارتسمت على شفيتها ابتسامة
صغيرة لهذه الفكرة . . ان كان يتوقع منها
الصراخ والصياح ، أو الانفجار في بكاء
هستيري لمآه ، فسيصاب بخيبة أمل مرة . .
لقد حاولت ذلك في صبيحة زفافهما ولم
تنجح .

– الأعمال ؟

.

– ثمة عقارات معروضة للبيع في ((ليدز)) ،
فجئت لرؤيتها .

كان رونان يعلم في قرارة نفسه أن هذا جزء
من الحقيقة . اذ كان بإمكانه ، أن يزور ((
ليدز)) في يوم واحد أو يرسل أحد موظفيه
لينوب عنه .

انتظر عدة أسابيع حتى وجد عذرا كهذا ليأتي
الى الشمال . فمذ أن ترك مدينة ((اجبرتن
)) ونفض غبار هذا البلد عن حدائه ، أدرك

أن من الصعب عليه التخلي عن زوجته ليلي

غيرين .

فمن ذلك الحين وهي تشغل باله . ولم يكن

لذلك تفسير فوجهها يترأى له كل صباح

من خلف عينيه المغمضتين . وصورتها لا

تفارق خياله ، ومهما حاول التفكير في شئ

آخر تبقى في ذهنه .

والأسوأ من ذلك أنها أيضا آخر ما يأتي الى
ذهنه قبل النوم ليليا اذ تنسل الى أفكاره
وتوقظ فيه جوعا يطرد النوم من عينيه
ويتململ ساعات في فراشه . وعندما
يستسلم الى نوم خفيف ، تراوده أحلام تجعله
يستيقظ لاهثا شوقا اليها بينما قلبه يخفق بين
ضلوعه وأعصابه تحترق . .

لم يستطع أن يبعدها عن ذهنه . . حتى أرغم
نفسه في نهاية المطاف على الاعتراف بحاجته
لرؤيتها ولو لمرة واحدة . ربما يتمكن عند
ذلك من اقناع نفسه بأنها لا تختلف عن
سواها ، وأن تلك الليلة المميزة التي أمضيها
معا قد خلقت منها ، في ذهنه ، أسطورة
رائعة لا تمت للمرأة الحقيقية بصلة .

كم حاول أن يقاوم تلك الفكرة ، كارها أن يرى نفسه ، هو الرجل العقلاني ، قد أصبح أسير رغباته . لكنه ، أدرك أخيرا ، أن ليس أمامه سوى الاستسلام .

وعاد يقول لها :

– ((خطر لى أنها فرصة ملائمة لأزور فيها

زوجتى العزيزة وأسألها عن أحوالها)) .

.

أرغمت ليلي نفسها على ألا تجفل ازاء تهكمه
الأسود بقوله (زوجتي العزيزة) ، واستدارت
ببطء لتواجهه ، وقد سمرت عينيها على بقعة
ما خلف كتفه اليمنى متجاهلة النظر اليه . .
فهي مازالت عاجزة عن مواجهة نظراته . .

قالت أخيرا بلهجة رسمية :

— ((حسبك ترفض أن ترانى مرة أخرى))

.

فأجابها بخشونة :

__ ((كنت أفضل ألا أراك ثانية أبدا لولا أنني

أريد الآن أمرا مختلفا تماما)) .

كان كلامه مبهما فلم تفهم ما يعنيه . فلو

فسرته على طريققتها ، لما كان تناسب مع

سلوك رونان ، ومع كل ما علمته من صفاته

منذ اللحظة التي وضع فيها خاتم الزواج في

اصبعها .

– حسنا ، اننى بخير كما ترى . . ويمكنك
الآن العودة الى سيارتك ومتابعة طريقك .

.

ما الذى ستشعر به ان فعل ذلك ؟ حاولت
أن توهم نفسها بأن هذا ما تريده ، متمنية لو
انه لم يأت قط ، اذ لوث وجوده جو بيتها .
ولكنها ، فى أعماقها ، كانت

تعلم أن هذا غير صحيح . .

وجدت نفسها ضحية معركة متوحشة لا خفاء

مبلغ تأثيره عليها . .

وكيف لها ذلك وكيانها متعطش لرؤيته وسماع
صوته ، حتى أنها كانت تتحرق شوقا اليه
خلال تلك الأسابيع التي غاب فيها عنها ؟
فما ان وقعت عينها عليه حتى أدركت كم
كانت حياتها فارغة من دونه .

ليس عدلا أن يتمتع بهذه الجاذبية المهلكة ،
فعيناه الزرقاوان الفضيتان الفولاذيتان ،

وقامته الطويلة القوية ، وشعره الاعم الرائع ،
كل هذا أثار فيها مشاعر أشبه بركان متفجر

.

وكان يفيض بملابسه العادية التي كانت عبارة
عن بذله كحلية فضفاضة ايطالية الطراز
وقميص رياضي ، رجولة وجاذبية مدمرة . .
فلم يكن أمام ليلي سوى الاعتراف بأن

كراهيتها له لم تمنحها المناعة الكافية ضد

تلك الجاذبية .

وبالرغم من أنه أمضى ساعات طويلة خلف

عجلة القيادة بقيت ملابسه أنيقة ، وشعرت

بنفسها رثة الملابس أمامه ، ينطلونها الجينز

الكالح اللون وقميصها الأزرق المقفل

المنقوش بأزها باهتة اللون .

وازداد ذلك الشعور سوءا وقد وقف رونان

عاقدا ذراعيه فوق صدره ، مخضعا اياها

لفحص شامل من قمة رأسها الى حذائها

الملطخ بالوحل .

ثم قال لها :

.

_ ((لقد لطخت خدك بالوحل)) .

كانت السخرية في صوت رونان أكثر مما
يمكنها احتمالها وازداد الغليان في أفكارها
وهو يتقدم خطوة نحوها ماداً يده إليها .

- لا !

وأجفلت مرتدة بحدة الى الخلف بحركة غريزية
، وقد مدت يديها الى الأمام بشكل دفاعي
. . فان تركته يلمسها ، فستتأثر حطاما
أشبه بشظايا كأس بلورية .

– أردت فقط أن أقدم لك هذه .

قال هذه الكلمات الباردة المقتضبة محاولاً أن

يخمد بها نيران غضبه ، بينما أصبح المندبل

الأبيض الذى كان يحمله فى يده ، على

وجهها فعلاً .

– لا حاجة لأن تجفلي وكأن حية سامة تريد

أن تلدغك . . ما كنت لأؤذيك أبدا .

ربما ليس جسديا . . اذ رغم قوته البالغة

وقامته الفارغة ، لم تشعر قط بخوف في

حضوره ، كما لم تتصوره يوما قادرا على

ايداء شخص أضعف منه . . وحده التأثير

العاطفي الذي يتركه عليها يخيفها .

– حسنا ، أأن تقدمي شرابا لزوجك ؟

أرادت أن تقول له :

((مستحيل !)) .

أرادت أن تخرجه من هنا نهائياً قبل أن يعود
ديفي ، ولكنها لم تشأ أن يستتج رونان أن
ثمة ما تريد أن تخفيه عنه ان أبدت اللفتة
للخلاص منه .

كان ديفى قد قصد المدينة عصر هذا اليوم
في سيارتها بعد أن أخبرها بالألا تتوقع عودته
قبل وقت الشاى ، وحسب خبرتها به ، لن
يعود قبل الساعة .

– أرغب بفنجان قهوة ، فقد أمضيت
ساعات طويلة على الطريق .

– فنجان قهوة . .

تمت هذه الكلمات وهي تتبعه صاعدة
الدرجات متوجهة الى المطبخ .

لم تهتم بما اذا كانت تبدو قاسية القلب ،
فهذا ما تشعر به في الواقع ، عليها أن تقاوم
اصرار ذهنها على أن تتناسب خطواتها مع
خطواته أثناء السير . فقد كان من المستحيل
ألا تتذكر ، بألم ، آخر مرة سارا فيها جنبا الى
جنب في ممر الكنيسة بعد انتهاء عقد مهزلة
زواجهما الأسود .

– أعترف بأننى لم أتحيلك تحسني العمل فى

البستان .

أذهلتها لهجته المسترخية للغاية . . كيف
يمكنه أن يتصرف على هذا النحو ؟ كيف
يمكنه أن يثرثر معها وكأنهما مجرد صديقين ؟
أو شخصين لم يتقابلا أكثر من مرة واحدة
من قبل ؟

ألا يشعر مثلها بغصة في قلبه لمجرد رؤيتها ؟
ألا يعى ذلك الصراع الذى يمزقها بين
الكراهية المحرقة له التى تجعلها تتمناه بعيدا
عنها مليون ميلا ، وبين الحنين والشوق
اللذين يجعلانها تريده هنا بجانبها الى الأبد ؟

- لا أتصورك تلوثين تلك الأصابع الطويلة

الرقيقة فى الوحل .

حشها كلامه على النظر الى يديها ، فلمح
خاتم الزواج الذهبي تحت أشعة الشمس مثيرا
في نفسها شعورا كريها وكأن سكيننا أغمدت
في قلبها .

- كما أنني لم ارك قط . .

فقاطعته بحدة :

.

.. _((انك لم تراني على الاطلاق والا لما . .

((.

وتوقفت عن الكلام ، وهي تصر على أسنانها
حتى لا تنفجر في وجهه . .

فمهما كانت رغبته قوية في أن تصيح
وتقذف آلامها ولومها في وجه ذلك
المتعجرف الأسود الشعر ذى الوجه البارد
الجامد فلن تفعل ذلك . لأنها لم تشأ أن
يستمتع بالشماتة بها لما أحدثه انتقامه
الوحشى ذاك .

لكن رونان لم يكن مستعدا ليتجاوز ما كانت
ستقوله ، فسأها بسرعة :

– أتعين أنى لما كنت تزوجتك ؟

فأجابت بسرعة :

((عنيت أنك ما كنت لتدهش عند رؤيتي
أعمل في الحديقة . . لو عرفتني بشكل كاف
لعلمت أن أبي كان يملك بستانا صغيرا ، وقد
ورثت عنه الاهتمام بالعمل في البستان)) .

بذلت جهدا لتغير مجرى الحديث حتى تتجنب
تكرار الحديث عما حدث بينهما ، فقد
أرادت أن تسايره في ثرثرته العفوية ، من دون
الافصاح عن شعورها الحقيقي .

- انى أعشق تنمية الأزهار والشجيرات ،
وتمهيد التربة والزراعة والسقى والتشذيب ان
اقتضى الأمر . وأظن أن المتعة التى يمنحها
هذا العمل أشبه بالمتعة التى تشعر بها الأم
عند رعاية الطفل .

- وهل سترعين الطفل بهذه الطريقة ؟ عندما

تصبحين أما ، هل . . . ؟

- آه ، لا . . لا يمكنك أبدا أن تتمكن من

السيطرة على الطفل بالطريقة نفسها .

كشفت ردها العنيف هذا عن مبلغ الضيق

التي تشعر به .

- كل ما يمكنك أن تفعله هو أن ترعاه
وتمنحه حبك ، ثم تدعه يذهب . . عليك أن
تعلمه الفرق بين الخير والشر ، وأن تطلق في
النهاية سراحه ليشق طريقة في الحياة . .

وعندما وصلا الى المطبخ سأها :

_ ((وهل ستمكنين من القيام بذلك ؟

ماذا لو أحسست بأنه لم يتعلم الفرق بين
الخير والشر ، كما كنت ترجين ؟) .

وبدت نبرة غريبة في صوته وهو يتابع :

_ ((ان كان الأب ، مثلا . . .)) .

واستدارت ليلي بينما كانت تملأ ابريق الشاي
ماء وهي تقول :

_)) ما هذا يا رونان ؟ أتحاول أن تعرف ما
إذا تركتني حاملا عندما هجرتني ؟ حسنا ، لا
داعي للقلق ، فلم تثمر تلك الليلة عن أي

نتائج غير مرغوب فيها ، وان لم تخنى ذاكرتى

فقد حرصت على ألا يحصل ذلك ، وقد

أعربت عن رغبتك بعبارات مختلفة كليا ((.

.

- أردت أن أحميك وأحمى نفسي .

قال ذلك بحدة أثارت في قلب ليلى شعورا
بالانتصار لأنها رأت تلك الملامح الهادئة
الواثقة قد تبدلت . . ولعل التفكير في أن
كلماتها أصابته في الصميم ، هون بعض
الشيء من آلام ذكرياتها . وسألته :

_ ((وما الذى كنت تخمينى منه بالضبط ؟

((.

ولكنها ندمت على طرحها هذا السؤال . .
لم تكن تريد أن تعرف الجواب ، أو أن تسمع
منه أنه لم يكن يرغب فيها على الاطلاق .

وتابعت تقول :

((أذكر أنني قلت لك انه لا داعى للوقاية ؟

فقد حسبت أنني تزوجت الرجل الذى أحبته

وأحبنى)) .

فسأها بحدة :

((وماذا لو تركتك حاملا وأصبحت أنا أبا
لطفل لا نريده ، نحن الاثنين ؟)) .

هذا غير صحيح !

صرخ صوت ضئيل في أعماق ليلي . .
فبالرغم من كل شيء كانت تريد انجاب طفل
منه .

لكن الاعتراف بذلك له سيكون قمة الحماسة
، اذ سيدرك مدى عمق مشاعرها نحوه ، و
مبلغ الدمار الذي ألحقه بها عندما هجرها .

ولكنها عادت ، لتساءل عما اذا كان هذا
صحيحا . فقد دمرت قسوة رونان البالغة
مشاعرها نحوه ، وحولت حبها له الى حطام
وسببت لها جروحا لن تلتئم طوال حياتها .
- لماذا لم تستمر بالأمر اذن الى النهاية ؟ هل
فقدت السيطرة على أعصابك ؟

فقط رونان بارتباك :

.

_ ((فقدت السيطرة على أعصابي ؟)) .

- لو تركتني حاملا لا اكتمل انتقامك من
ديفي ، أليس كذلك ؟ فتركني حينها مرتبطة
بمن يذكرني بك بقية حياتي . . لماذا لم تفعل
هذا ؟ هل أردت أن تثبت لي أن في قلبك

رحمة ؟ هل تدعى بأن لجنون الانتقام حدودا

؟

- صدقى أو لا تصدقى ، فهذه هى الحقيقة

.

بدا لها وكأن الكلمات تخرج من بين شفثيه

مجرورة بكماشة حارة متجمرة ، بينما عيناه

الفولا ذيتان كانتا تنضحان بمشاعر لم تستطع

تفسيرها ، لكن تعابير وجهه دفعتها الى القول

بطيش :

_ ((على كل حال ، ان لم ترغب المرأة بأن
تم شهور الحمل يمكنها أن تجهض ، وكان
بإمكانى أن أتخلص بسهولة من . . هديتك
الصغيرة التى قد تركتها لى)) .

دفعت هذه الكلمات رونان الى التأمل مليا ،
فان لم يكن حذرا ، فسيجد نفسه يعطف
عليها وينقاد الى طريق خطرة . ولكن ، ما ان
بدأ يتساءل عما اذا كان قد أخطأ بحقها حتى
نطقت بهذه الكلمات كبرهان على أنها أخت
ديفي تماما .

وسألها من دون أن يزعج نفسه باخفاء

الاشتمزاز من صوته :

_ ((هل كنت ستفعلين ذلك ؟ هل كنت .

. ((. .

طبعاً ما كانت لتفكر قط في الاجهاض ،
لكنه ظن أنها قد تفعل . . وكان في الصدمة
التي بدت على وجه ما جعلها تشعر بالارتياح

.

– لحسن حظك أن هذا السؤال لم يعد
ضرورياً . وأظن أن الفضل يعود لك . .

- لست . .

كان على وشك اضافة شئ آخر ، لكن
ليلى لم تترك له فرصة لذلك ، اذ ملأت
فنجانا من القهوة ووضعتة أمامه بعنف على

المائدة قائلة :

((القهوة التي طلبتها يا سيدي ! وسأكون

شاكراً . . .)) .

.

وتعمدت أن تجعل لهجتها لاذعة وهي تكمل

:

_ ((. . ان شربت قهوتك بسرعة وذهبت

في الحال)) .

تجاهل فنجان القهوة ، وأمسك بيدها يرفعها

:

– ((أما زلت تلبسين خاتم زواجك ؟)) .

– ولم لا ؟

وانتزعت يدها منه وكأن نارا لسعتها ،

وأضافت :

_ ((ما زلت زوجتك في نظر القانون على
الأقل !)) .

فقال يذكرها بصراحة قاسية :

•

_ ((القانون فقط . ولكن من السهل

التخلص من ذلك كما هي الحال بالنسبة الى

طفل غير مرغوب فيه)) .

وتلقى شهقة الصدمة التي صدرت عنها

بابتسامة صغيرة متجهمة ورفع فنجان القهوة

، وعيناها تراقبها بامعان من فوق حافة

الـفنجان .

- هل من أخبار عن ديفى ؟

أفقدتها تغيير الموضوع اتزانها وساورها الشك
في تعمدته نطق كلماته بهذا الشكل . وقالت

متوترة :

— ((د . د . ديفى ؟ لا ، لا شئ . انه . .))

.

ولكن للحظة قصيرة ، اتجهت عيناها نحو
الباب من دون أن تتمكن من السيطرة
عليهما ، ففضحت سرها . عندها ، وضع
رونان فنجان القهوة على المائدة بعنف ،
فاندلق السائل البني الساخن في كل اتجاه .

– انه هنا ، أليس كذلك ؟

والتهبت عيناها الذهبيتان المصعوقتان وهو

يضيف :

– ((أخوك المجرم هنا ، أين يختبئ ؟ في الطابق

العلو ؟)) .

الفصل الخامس

5 – جاذبية لا تقاوم

– كلا . . !

صرخت فى وجهه يائسة ، ولكن بعد فوات
الأوان ، لأن رونان تركها وسار نحو الردهة ،
ليصعد السلم بلمح البرق ، ويصل الى
الفسحة قبل أن تلحق به ليلى . ثم وقف
يفكر أى بابا يفتح :

– كورنيل . .

وبوحى من غريزته ، توجه مباشرة الى غرفة
ديفى ، ورفس الباب برجله على طريقة
الأفلام البوليسية .

– كورنيل ! فى أى جهنم . . !

شعرت ليلي بالغثيان أمام الغضب الأسود فى

ثورته الهوجاء . وكادت ساقاها تتهاويان تحتها

، ولكنها تمالكت نفسها وهى تقف بجانب

رونان قائلة :

– ((كان هنا)) .

ما الفائدة من الانكار ؟ فالأدلة دامغة ، ولا
مجال لانكارها . . أغطية السرير المعبرة ،
وسراويل الجينز والقمصان الملقاة على
الكرسى أو المتناثرة على الأرض بغير اكتراث
. أما البرهان القاطع ، فكانت فيثارة ديفى
الحبيبة التى لا يفارقها أبدا .

– أين هو ؟

بعث صوته الخافت المتوحش رعشة خوف في
جسمها ، وخيل اليها أن هب الغضب في
عينيه قد حولها الى رماد .

أمسك بمعصمها بقبضة قاسية جعلتها تجفل
مضطربة :

— ((أين هو ؟)) .

— لا . . لا أدري . .

- لا تكذبي علي ، أعلم أنه كان هنا ، وهو
في مكان قريب . فلو لم يكن ينوي العودة لما
ترك فيثارته ، فاما ان أن تخبريني واما . . .

- لا !

.

أطلقت شهقة تمرد مرتجفة . . فقد رأت
الكراهية ، وشهوة الانتقام تحترق في عينيه
فتملكها الرعب من أن يصب غضبه على
أخيها . وشعرت وكأنها مخلوقة يائسة تلقى
بجسمها الضعيف بين براثن سفاك متوحش
لتبعده عن أخيها الأعزل .

– أنا لن . .

وقبل أن تنهى كلامها سمعت ذلك الصوت
الذى كانت تخشاه أكثر من أى شئ آخر . .
وارتد رأس رونان الى الخلف بعنف وهو
يصغى مثلها الى صوت سيارتها تتوقف خارج
المنزل .

تسمرت ليلى مكانها من دون حراك ، بينما
توترت قامة رونان الفارعة بجانبها وهو يتأمل
ديفى من النافذة يصفق باب السيارة ثم
يتوجه نحو البيت وهو يصفر دونما اكرات .

– أواه ، يا ديفى !

وأغمضت ليلي عينيها بيأس وهي ترى أخاها
يسير نحو المصيدة متهيجا ، غير واع الى
وجود السفك المتعطش الى سفك دمه . .
ليت بإمكانها أن تفعل شيئا لتحذره !

– ليلي ؟

دخول ديفى الى الردهة وتناهى صوته يصل
الى آذانهما .

– أين أنت ؟

.

نظرت ليلي الى عيني رونان بخوف وهي ترى
فيهما وميض الانتصار وقد رأى فريسته على
مقربة منه . . فهمس لها بحقد :

– ((نأءفه ، ءعهه ٱصعد الى هنا)) .

تمت لىلى لو تهز رأسها ، رافضة الاءعان له
. ولكنها وجدت نفسها عاجزة عن الحراك ،
وعيناها تحقان فى عىنه الشرستىن ، كما
ىحءق ءىوان صغىر مءعور فى وهج أضواء
سىارة قاءمة نحوه ، وتكاء تءهسه .

– نأءفه !

وزال فجأة الشلل الذي كان يلجم لسانها ،
فرفعت رأسها وهي تغص بريقها . . كانت
مجازفة منها ، ولكن ما باليد حيلة .

– ديفى !

صاحت تناديه بنبرة أشبه بصرخة تحذير حادة
ممزوجة بالرعب ،

– دي . . .

وماتت الكلمة على شفيتها عندما ضغطت
يد رونان على فمها لتسكتها بقسوة ، بينما
جذبها بيده الأخرى بعنف وأدارها لتواجه
الباب وهو يشدها الى صدره بقوة جعلتها
تشعر بدقات قلبه تحت وجنتها . .

.

كانت دقات بطيئة منتظمة . . فرغم ما
تملكه من سرور متوحش لوجود فريسته
بالقرب ، بدا هادئا مسيطرا على أعصابه

تماما . . لكن قلب ليلي كان يخفق بشدة بين
ضلوعها رعبا وخوفا .

- ليلي ؟

كان ديفي قد صعد الدرج ووصل الى
الفسحة أمام باب غرفة النوم مباشرة . .
ولكن ليلي لم تشأ ان تدعه يدخل كالحمل
البريء ، الغافل عن الذئب المتربص له .

فاستجمعت ما تبقى لديها من قوة ورفضت
ساق رونان بقوة ، ورمته شامتة متجهمة وهي
تسمع أنين ألم عند اصطدام أصابع قدمها
بكاحله :

((تبا لك !)) .

وماتت الكلمات على شفثيه عندما انفتح
الباب فجأة ، ودخل أخوها الغرفة ليقف
مسمرا مكانه وهو يرى أسرها .

– غيرين !

صرخ ديفى بصوت خشن أبح ، وقد
اتسعت عيناه ذعرا .

– حسنا ، حسنا . . هو ذا السيد كورنويل
المراوغ .

.

شعرت ليلي برعشة وهي تسمع كلمات
رونان الساخرة ، والتزمت الصمت عاجزة
عن الكلام . حاولت أن تظهر كربها في
عينها ، متشوقة للوقوف بجانب أخيها ،
ولكن ذراع رونان الملتفة حول خصرها أبقتهما
أسيرته .

قطع رونان الصمت الذي ساد الغرفة قائلاً :

– ((اننى أبحث عنك منذ وقت طويل ، وكان

لابد أن اصل اليك فى النهاية)) .

– أنا . .

فى وقت من الأوقات راود الشك لىلى فى
مبالغة أخيها فى خوفه منه رونان وتهديده له ،
الا أنها اعترفت الآن مرغمة بأن المسألة أبعد
ما يكون من ذلك بمليون مرة .

كانت ملامح ديفى تنطق برعب لا مثيل له .
فقد ازداد وجهه الشاحب شحوبا ليتحول
أبيض بلون جلده . أما عيناه الواسعتان فبدأتا
قائمتين من تأثير الصدمة .

انقبض قلبها عطفاً عليه ، اذ بدا لها ضعيفا
وعاجزا الى حد يدعو الى الرثاء . . وخيل
اليها أن الزمن عاد نحو الوراء فجاءه ليعث
مرة أخرى بتلك الأوقات المخيفة التي
أعقبت موت والديهما . فقد كانت ردة فعل
أخيها حينذاك مماثلة لردة فعله الحالية ، اذ

كان يثير قلقها بعدم اكترائه بشئ ، ورفضه
الطعام واصابته بالأرق .

منذ عودته الى ((ادجيرتن)) وهو لا يأكل
جيدا . والنوم يجافيه معظم الليالي . فقد
كانت تسمعه يتقلب في سريره أو يذرع
غرفته بتوتر .

وعندما كان يسترسل أخيرا للنوم ، كانت
تراوده الكوابيس المخيفة فيستيقظ صارخا
طالباً النجدة ، وكأنما كل زبانية جهنم تلاحقه

وليس فقط هذا الوحش الشرير القاسى

القلب الذى يواجهه الآن .

كانت ليلي تعرف جيدا التصورات التى

تصحب تلك الليالى المزعجة ، فهى تشبه

تلك التى كانت تصحب لياليها هى أحيانا :

طيف ألسنة النيران المتوحشة المندفعة من

بيتهما ، ورائحة الدخان الأسود الخانق ،

واللون القرمزى الذى أضاء سماء تلك الليلة

.

.

واذ كانت تعلم ما يعانیه ، لم تستطع أن
تسأله المزيد عن علاقته برونان فتركته لحاله
وهي ترجو أن يستعيد هدوءه وراحة باله
فيزول توتر أعصابه ويتعافى جسدياً .
وفي هذه المواجهة بالذات ، كان ديفي هو
الطرف الأضعف ، اذ من المستحيل مقارنة
نحوه البالغ وشكله الهش الضعيف بذلك

الجسم القوى الصلب الذى يشدها اليه

بعنف .

- ديفى . .

هتفت صارخة وقد تمكنت من أن تتخلص
من قبضة رونان لتندفع نحو أخيها تأخذه بين
ذراعيها ، محاولة أن تخفف عنه وتطمئنه .
لكن ردة فعل ديفى حيال تصرفها كان
عكس ما توقعت .

فقد رفع رأسه كغزال جفلى ، وقبل أن تصل
اليه استدار وخرج من الباب متجها الى
السلام ، وسمعت وقع قدميه المدعورتين تهبط
مسرعة الى الطابق الأسفل حتى قبل أن تفهم
تماما ما حدث .

– اللعنة .

.

خرقت شتيمة رونان الاضطراب الذى تملكها
، وبعثت الحياة من جديد فى قدميها اللتين
شلتا بتأثير الصدمة . فلحقا معا بديفى الى
الطابق السفلى ، وعندما وصلا الى الردهة
سبقها رونان بخطواته الواسعة الى الخارج .
ولكن الأوان كان قد فات اذ تملص ديفى
من قبضة رونان ، وقفز الى سيارة ليلى ثم
انطلق بها فى الطريق بسرعة انتحارية .

– اللعنة .

واذ توقف رونان بشكل مفاجئ ، اصطدمت
ليلي التي كانت خلفه مباشرة بظهره العريض
الصلب مما أفقدها اتزانها كلياً . وكادت
تسقط أرضاً ولكنه استدرك الأمر في آخر
لحظة فأمسك بها يحميها من السقوط .

جعلها التوتر والذهول لا تحمل امساكه لها ،
خاصة أنها لم تنس بعد أسره لها منذ لحظات
قليلة .

- دعني يقشعر بدني للمستك .

وضربت يده تبعتها عنها ثائرة وقد بلغ

غليان مشاعرها حده ، فرماها بابتسامة

ساخرة وهو يقول هازئاً :

_ ((كم تغيرت الأمور منذ أن كنت لا

تشبعين من لمساتي . . عندما كنت . .)) .

فهبّت في وجهه تقول :

_ ((حسنا ، لا تتفاجأ ان قلت لك انني لم
أعد أشعر بشئ نحوك ، هذا ما كنت تسعى
اليه ، وقد حققت مبتغاك)) .

.

بدا رونان متعطشا الى افتعال شجار بعد
الاحباط الذي أصابه بسبب افلات فريسته

منه . فأراد أن يصب جام غضبه على أى
كان . . . وصدف أن كانت ليلي بالقرب منه
، فسألها ساخرا :

— ((أصحيح هذا ؟)) .

لسعتها نبرة الشك فى صحة أقوالها ، فرحبت
بموجة الغضب التى تملكها لتطرد الذعر
الذى أصابها منذ لحظة .

- هذا الأمر لا يقبل الجدل .

ونظرت اليه بحذر وهو يميل برأسه الى جانب
ويتأملها بنظرات وقحة تنطق بالرغبة وهذا ما
جعل الدماء تتصاعد الى وجنتيها .

- وهل تريدان أن تثبتى ذلك ؟

- لا سبيل لذلك !

لكنه لم يبال باحتجاجها بل قبض عليها
وجرها نحوه بقوة لم تستطع مقاومتها أن تفعل
شيئا ازاءها . لقد احتضنها بعنف يشدها الى
جسمه الدافئ ، ولكن ذلك الآن كان مختلفا
كثيرا .

وقبل أن تجد وقتا للتفكير ، او حتى للشك
في نواياه ، راحت شفتا رونان الدافئتان
تجولان على وجهها برقة فائقة لتجد نفسها
أسيرة الاغراء رغما عنها .

لقد أحسن رونان تقدير نقطة ضعفها التي
تزول عندها دفاعاتها ، وما هي الا لحظة حتى
كان يعانقها . وبعد أن كانت مسيطرة على
نفسها أصبحت تشعر فجأه وكأنها تسبح في
فضاء مشرق متألم . فقد دفعها تأجج
مشاعرها بعيدا عن كل حدود تعرفها ،
ووضعها في عالم غريب لا يمت الى الواقع
بصلة .

كان رونان يماثلها شوقا ، وهذه المرة أخذ
قلبه يخفق عاليا بين ضلوعه وتسارعت أنفاسه
وتوهجت وجنتاه .

وارتجفت وهي تفكر في الفرق بين رونان هذا
، وذلك الذي رآته قبل دقائق . . ذاك
الشخص العديم الرحمة المصمم على الانتقام
تحول الآن الى انسان تحرقه المشاعر الحارة .
ولكن هل هذا صحيح ؟

كانت صدمتها المفاجئة أشبه برشاش ماء
بارد على وجهها ، لقد استعملها لمتعته
الشخصية من دون اعتبار لمشاعرها ، ومن ثم
نبذها دونما اكتراث ورحل . . فمن يقدم
على تصرف مماثل ، لا يملك ضميرا ، وقد
يعاود الكرة اذا دعت الحاجة ، فكم هي
حمقاء لاذعانها مجددا لنزواته .

- ما الذى تبرهنينه الآن ، يا حبيبتى ؟

تمم رونان ذلك في أذنها ، وانفاسه الدافئة

تلفح وجنتها .

- تريدان أن تبدي مبلغ كرهك لي . . أليس

كذلك ؟ أخبريني ، هل يقشع بدنك الآن يا

حبيبي ؟ أحقا تكرهين لمساتي ؟

- نعم ، أكرهها .

.

أطلقت صرخة يأس معذبة شقت جو هذا
المساء المبكر بقوة جمدت الطيور على
الأشجار وأسكتتها عن الزقزقة .

- آه ، يا الهي ، كم أكرهها ! وكم أمقتك .

ارتجف صوتها وهي تتلفظ بهذه الكلمات اذ

أدركت مدى براعة رونان ودهائه في

التخطيط لايدائها . ولا شك أن انتظاره لما

بعد الزواج للحصول عليها ما هو سوى
مؤامرة خطط لها لايهامها باحترامه لمبادئها ،
فلو أنه حاول استعجالها أو الضغط عليها
لخافت منها وترددت في الزواج به . ولكنه ،
بدلاً من ذلك ، كان حذقاً بشكل بالغ
الخبث .

لم يتوان قط عن استعمال خداع الذئب
المحتال في اصطيد فريسته ، اذ حام حولها
وراقبها بهدوء ، يتحين الفرص ، عالماً أن كل

ما عليه فعله هو الوقوف مكانه وهي تقوم بما
تبقى من دون عناء .

لقد أبدى لها عن مدى رغبته بها ، وتعطشه
اليها . لكنه حاول أن يكبح مشاعره ويدوس
عليها من دون رحمة الى أن تصبح جاهزة
لمبادلته تلك المشاعر .

ولما كانت تشعر نحوه بنفس العاطفة التي
حسته يكتنحها لها ، ولما كانت رغبته فيها
توازي رغبته الزائفة فيها ، أحست بذلك

الحب البالغ اليه الذى جرفهما معا ورغبتها
تلك هى التى جعلتها توافق على الزواج فى
أقرب وقت ممكن ، وحبها له هو الذى
جعلها تندفع اليه ليلة الزفاف حيث
أصبحت ضحية الهجران الوحشى الذى أزال
الغشاوة عن عينيها فى الصباح التالى .
لقد هجرها بعد أن استولى على روحها
وجسدها . . . فى تلك الليلة حولها الى
جاريته العاشقة وأصبحت عاجزة عن تحطيم

تلك السلسلة التي قيد بها قلبها الضعيف

الهش .

.

– قلت لي مرة انك تحبيني .

تمتم رونان بذلك بصوت رقيق كريحه هامسا به

لأعصابها الحساسة فشعرت لذلك بصريير

أشبهه بلحن فيثارة ناشز .

لابد أن هذا أشبه بصوت الحية التي أغوت
حواء في جنة جدن . ورغم كرهها لرونان كان
كفاحها للتحرر من سحره صعبا للغاية ،
وردت عليه بعنف وعيناها الذهبيتان
تتوهجان تمردا :

_ ((هذا صحيح ، لكنك دمرت كل ذلك
حين هجرتني ، قتلت حبي لك ولم تترك
مكانه سوى الفراغ)) .

– والآن ؟

ألقى هذا السؤال بنبرة غريبة مبحوحة وكأنه لم يستعمل صوته لفترة .

– والآن ؟

وابتسمت وهي ترى نظرة النصر في عينيه
اللتين كانتا تراقبانه :

_ ((الآن قد منحتنى شيئاً أملأ به ذلك

الفراغ الذى خلفته ، لم يبق هناك فراغ الآن .

. ذلك أن عقلي وقلبي قد امتلأ كراهية لك

، كراهية ساحقة لا تتغير ولا تلين)) .

.

– الكراهية ؟

لفظ هذه الكلمة وهو يطلق ضحكة مرتجفة

.

- وهل ما حدث بيننا للتو نوع من الكراهية

؟

شعرت بالسخط لتشككه هذا ، فدفعت
بشعرها الى الخلف رافعة رأسها ، ان كان قد
شحد السكين قبل أن يناولها اياها ،
فستعمله ضده بكل سرور .

قال ببطء ، وهي تتأمله بعينيها الملتهبتين
بسخرية ، متعمدة أن تقلد نظرتة الشهوانية
التي كان يتأملها بها منذ فترة قصيرة :

– انك مثير للغاية ، يا رونان . ولا بد أنك
تعلم ذلك تماما كما تعلم أن الشرر ينطلق
بيننا كلما تلامسنا .

سكت تلتقط أنفاسنا ، ثم أخذت تنظر اليه
باغراء وهي ترى عينيه تلتهبان تجاوبا .
فتعمدت أن تستفزه ومررت لسانها الوردى
على شفتها السفلى الممتلئة قبل أن تتابع
قائلة :

_ ((حتى الأحمق يلاحظ انجذاب واحدنا
للآخر ، وأكون كاذبة ان حاولت انكار ذلك
. صحيح أن عقلى وقلبي ينفران منك ،

ولكن وجودك وحده كفيـل بأن يـضرم النار في

جسدى)) .

.

ازدادت ابتسامتها صلابة عندما ظهر بريق
غريب في عينيه الداكنة الزرقاء ، وتابعت :

_ ((ما منحتنى اياه في ليلتنا الوحيدة تلك

كان محيرا ، مثيرا . . متفجرا بالمشاعر . .

انها خيرة اكتسبتها ولا مانع عندى من

تكرارها مرة بعد مرة . ولكن من دون عاطفة
، أو مشاعر على الاطلاق)) .

ساد صمت بينهما لم يكن يقطعه سوى
حفيف أوراق الشجر ، وحركة السير البعيدة
وطنين النحل .

أخذ رونان يحدق متوترا ، وقد ضاقت عيناه
الفولاذيتان بتأمل ، ثم أوما برأسه ببطء

موافقا وهو يلوى فمه الصلب بشبه ابتسامة

ساخرة :

__ ((لا يأس ، ان كانت تلك كراهية ، فهي

تناسبني تماما)) .

وعندما عاد يجذبها اليه بسهولة وكسل ، بدا

وكأن الزمن قد توقف عن السير ، وكل ما

استطاعته ليلي هو أن تنظر مصعوقة مخلوبة

اللب الى وجهه الوسيم وهو ينحني .

.....

.

لم يكن هذا مبتغاها على الاطلاق .

تملك ليلي الذعر وهي تدرك مذهولة أن
خطتها فشلت .

كانت واثقة تماما من أنها ان بادلتها مشاعره
بمشاعر أقوى ، فقد يشمئز من وقاحتها
وينفر منها ، أو يدرك أنه لم يعد له سلطنة
عليها فيتركها لحالها .

لكنه ، بدلا من ذلك ، اعتبر كلامها تحديا ،
أو ترخيصا له بأن يجعل علاقته بها جسدية
ومبنية على الغريزة ، فيعفى بالتالي من القيود

التي تكبله كالمشاعر أو الاهتمام بأحاسيس
الآخر .

ولابد أنه ظن أن السعد قد واثاه وهو يراها
تقدم له مبتغاه على طبق من فضة . فرجل
مثله ، يحلم حتما بامرأة تشاركه نظرته
اللاأخلاقية الى التقارب الحميم وتسمح له به
متى أراد .

رجل مثير . . ينبض رجولة . .

أخذت كلماتها الحمقاء هذه تتردد في ذهنها

مرة بعد مرة ، فتشغل بالها وتجعلها تتأوه

بصوت مرتفع لغبائها هذا ، ولما قال لها

رونان ببطء :

_ ((هذا ما أشعر به أيضا)) .

صدمت اذ أدركت أنه فسر تجاوبها معه بأنها

لا تستطيع مقاومة تأثيره فيها .

- رونان . .

مررت لسانها على شفثيها اللتين جففهما
الارتباك ، وقد أخذ رأسها يدور من القنوط
والانفعال ، ودفعتها الاضطراب الى فتح
الموضوع الوحيد الذى خطر ببالها ، راجية أن
يصرف ذهنه عنها :

.

— ((ولكن ماذا عن ديفى ؟)) .

ونجحت فى ذلك ، فلو أنها قذفت فى وجهه
دلوا من الماء البارد لما كان تأثيره أسوأ ، فقد
رفع وجهه بكبرياء وضافت عيناه بحدة .

جل ما كانت ترجوه هو أن تيسر لأخيها
الهرب ، فلا بد أنه ابتعد عن المدينة أميالا
عديدة .

– ديفى .

لفظ رونان اسم أخيها بغضب وقد أخذ
يعنف نفسه بمرارة . ما الذي جرى له بحق
جهنم ؟ انه يريد كورنيل ليجعله يدفع ثمن ما
فعل ، فكيف سمح لنفسه بأن يقع في الفخ
الذي حاكته له ليلي بهذه السهولة ؟ ولكن
هل سيدعها تحوله عن غرضه الذي كان
يسعى اليه منذ ستة أشهر ؟

عليه ألا ينسى أبدا روزالي ومأساة شبابها . .
يا الهى ! كم يؤلمه أن يتذكر ما حدث . . انه

لا يكاد يصدق ذلك حتى الآن ولكن هذا
هو السبب الأول لوجوده هنا لا بل السبب
الوحيد الذى جعله يتورط مع أسرة كورنويل
منذ البداية .

ولكنه لم يحسب قط أن تتعد الأمور الى هذا
الحد . . لم يخطر بباله أنه قد ينجذب الى
أخت ديفى ، ناهيك أن تصبح هاجسا يقلق
راحتة . . فلو أنه علم أنها ستشغل أفكاره ،

وتجعله عبدا لرغباته ، لا يتعد عنها منذ البداية

.

- في الحقيقة نسيت مسألة ذلك السافل

أخيك .

وعلى الرغم من أنها حققت مرادها الا انها
شعرت بنوع من خيبة الأمل والاهانه وهو
يرميها جانبا بعدم اكتراث ، وخشونة ليخرج
من جيبه تليفونه الخليوى ويطلب رقما .

– جیری ، لقد وجدت كورنويل لكنه أفلت

منی . . انه . .

– وما الذى تفعله ؟

.

ومدت ليلي يدها الى التليفون بدعرا محاولة
أن تنتزعه منه . . لكن رونان رفع يده
بالتليفون عاليا كي لا تصل اليه ، تاركا اياها
تقفز نحوه .

قال لها بوقاحة :

_ ((سأعهد الى شخص آخر مهمة ملاحقة
أخيك ، أكاد أجن لأنني تركته يفلت مني
بهذا الشكل . لكنني كنت مشغول البال . .

((.

وبغمزة من عينه فهمت أن ما شغل باله راق
له كثيرا .

– وأنا ممتن لك لأنك ذكرتيني بأولوياتي .

شعرت وكأنها تلقت صفة على وجهها
تركها تشفق مصعوقة .

– لكن ديفى . . لا يمكنك أن تطلق

سفاحيك فى أثره . . انه .

– سفاحى ؟

أدرکت وهى ترى رونان متفاجئا ، انها
استعجلت بالاستنتاج عندما تخيلت ديفى
مطاردا وأسيرا يتعرض للأذى .

–جیری لیس سفاحا ، صدقینی ! انه

يساعدني في البحث عن أخيك . عليك أن

تختارى اما أن أتصل به أو بالشرطة .

تركها أمام خيارين كلاهما مر ، فلم تستطع

ليلى الا أن تهن رأسها بوهن حزين ، حائرة فى

أمرها . فان استدعى الشرطة فسيتخذ

الموضوع منحنى رسميا . وحتى وان لم يتعرض

ديفى للأذى ، فلا بد أنهم سيوجهون اليه

الاتهام .

أيعقل أن يتهم بالغاء العقد فحسب ؟ أم انهم
سيوجهون اليه تهمه سرقة الأموال ؟ وهل
سيسجن أم سيغرم فقط ؟ ولكنه لن يتمكن
من الدفع ، والله وحده يعلم الاتهامات
الأخرى التي قد يقلبها رونان عليه .

– آه . . . كلا .

- هل ترفضين الاتصال بالشرطة أم بصديقي

جیری ؟

سألها ذلك وقد جعلتها نبرة الاهتمام الزائفة

في صوته تصر أسنانها .

- لا يمكن أن تستدعي الشرطة !

لم تبذل جهدا لاختفاء الخوف الذى ظهر فى
صوتها . فقد عانى ديفى من الكوابيس هنا ،
فى هذا المنزل المريح ، فماذا ستكون عليه
حاله ان أمضى ليلة أو ليلتين فى السجن .
وارتجف جسدها رعبا لمجرد التفكير فى الأمر .

– لا بأس . .

وقبل أن تعى ما يفعله ، أصدر رونان عبر
التليفون بعض الأوامر المقتضبة ، ثم أقفله .

– سيتولى جيري الاهتمام بالأمر .

شحب وجهها لهذه الفكرة . .

– آه ، لا يا رونان ، أوقف كلبك البوليسى

! . .

اخرقت الجوى ضحكته الخشنة ، فماتت

الكلمات عند شفتيها .

- كلب بوليسى ! مسكين جبرى . سيجرح

هذا الوصف غير المستحب كرامته . آه ، لا

تقلقى يا حبيبتى . . .

.

وأخذ يتأمل وجهها الحزين بعينه الفولاذيتين
، من دون أن يظهر شعورا بالرقّة أمام عينيها
الذهبيتين الداهلتين ووجنتيها الشاحبتين .

– انه كفؤ جدا في عمله .

ان كان يقصد تطمينها ، فهو لم ينجح ، فقد
زاد كلامه هذا من توترها . وشعرت بساقيها
ترتجفان ، وكادت تفضل أن يواجه أخوها
الشرطة ، على مواجهة قسوة رونان .

- وما الذى ستفعله أثناء انشغال جبرى

بعمله الذى يؤديه بتلك الكفاءة ؟

وأنبأها ابتسامته الباردة الساخرة بأن جوابه

لن يعجبها مثقال ذرة .

- آه . . أنا مصمم على البقاء هنا لبعض

الوقت . . فبعد أن علم أخوك بمكانك ،

أظنه سيحاول الاتصال بك مرة أخرى .

- لا تكن واثقا من ذلك . . عندما هرب
ديفى فى المرة الماضية بقى ثلاث سنوات قبل
أن أراه مرة أخرى .

ولكنها لم تكذ تفرح بعودته حتى فقدته مرة
أخرى . والذنب ذنب رونان ، انها نقطة
سوداء أخرى تضاف الى قائمة جرائمه
الطويلة .

قال رونان :

_ ((ولكنه لم يكن حينها يعلم بأنك تملكين

كل هذه الثروة)) .

ودخل الى البيت وكأن الموضوع انتهى ولم يعد

ثمة مجال لمزيد من النقاش .

لعل تحررها من تينك العينين الزرقاوين

المتفحصتين ، وتأثيرهما المغناطيسى هو الذى

شجعها على التفكير مليا بالأمر .

يحتاج ديفى الى مبالغ طائلة ليفى دينه لرونان

، مبالغ قد تفوق ما قد تستطيع جمعه طوال

حياتها . لكنها لم تكن تنظر الى المشكلة من

الزاوية الصحيحة ، اذ طرأت فجأة على

ذهنها فكرة قد تحل المشكلة .

فارتفعت روحها المعنوية ، وشعرت بقلبها

يرقص فرحا .

– انتظر لحظة !

.

استدار رونان بسرعة مجيبا نداءها ، مما جعلها
تضطرب .

– أريد أن أسألك شيئا .

واذ شعرت بعنيه المتفحصتين مسمرتين عليها
، خانتها شجاعتهما بعض الشيء وخاصة وأن
فروع صبره الظاهر جعلها تفقد بصيص
الأمل الذى لاح لها منذ لحظات .

- قلت لى ان هذا البيت ملكى . هل هذا

صحيح ؟

- طبعا .

وقطب جبينه :

_ ((ألم تستلمي أوراقه ؟ أنا . . ؟)) .

_ آه ، نعم استلمتها . ولكن هل تعنى حقا

أنه ملكي ؟

أجاب ساخرا :

((انه لك بأجمعه . . أنت مالكة كل ما ترينه

أمامك)) .

- ولا بد أنه يساوى مبلغا كبيرا من المال .

.

- هذا صحيح .

ونظر اليها بفضول :

_ ((لكنني لا أرى . .)) .

- أرجوك ، هل لك أن تستعيد البيت
والنفقة التي وعدتني بها . . وكل ما أعطيتني
اياه ؟ أنا أعرف أنه ليس مالي ، وما أعيده
اليك هو ملكك أصلا ، ولكن يمكن أن
يوضع في الاعتبار ، أليس كذلك ؟

حاولت أن تبسم بتضرع وهي تنظر مباشرة
الى هاتين العينين الداكنتين . لكن ابتسامتها
سرعان ما تبددت عندما واجهت قناعا من
الرفض .

– لا بد أن ذلك يساعد على تسديد ديون
ديفي ، وان شئت ، أوقع على تنازلي عن
ذلك كله .

خذها صوتها وهي ترى الرفض في عينيه :

– ((المال !)) .

لفظ هذه الكلمة مشددا على حروفها ، مما
جعل ليلي تجفل .

– أتظنين حقا أن (المال) يعوض . . أو
يصلح ما فعله أخوك ؟ المسألة أبعد من ذلك
بكثير !

– ولكن لا يمكن أن يكون الأمر كذلك ؟

وشعرت ليلي وكأن العالم انهار حولها . لقد
سبق لديفي أن أخبرها بأن الأمور قد بلغت
هذا الحد ولكنها لم تصدقه ، اذ كانت تأمل
أن يصغى رونان الى صوت العقل . وللحظة
فقط ، حسبت أنها وجدت طريقة للخلاص
من الكابوس الذي وجدت نفسها فيه . لكن
آمالها كلها ذهبت هباء وهو يقذف بتلك
الكلمات في وجهها .

- رونان ، أرجوك . .

كم يا ترى يريد هذا الرجل ؟ أيعقل ألا
يخفف أى تعليل لخسارة المال التى سببها له
ديفي من حقه ؟ لقد أخبرها ديفى أن رونان
يضيف الفوائد المرتفعة عن كل يوم يمر ، مما
يعنى أنه يدين له بثروة .

- ذلك لا يكفي !

أعلن ذلك بلهجة عدائية ، وقد التهبت
عيناه كالفولاذ المنصهر . ثم ارتد على عقبه
مبتعدا عنها بخطوات واسعة ليختفى عن
الأنظار .

- لا .

وهزت نفسها بحزم محاولة أن تفكر بوضوح .
لن تدع ذلك يحدث ، لا يمكنها أن تتخلى

عن ديفى . فصورة وجهه الشاحب الناطق
بالرعب محفورة فى ذهنها تؤنبها ، وتحثها على
التصرف . عليها أن ترغم رونان على القبول
بالمنزل ، كجزء من الدين . بيد انها لم تكن
تملك أدنى فكرة عما ستفعله بعد ذلك . .
ولكن عليها أن تقوم بشئ ما .

لحقت رونان الى غرفة الجلوس حيث كان
واقفا قرب النافذة وفى يده كوبا من العصير .

فقال لها وقد رآها واقفة عند الباب :

_ ((شعرت بحاجة الى هذا العصير ، أرجو

ألا تمنعني)) .

جاء تهذيبه البالغ ليتناقض بشكل مزعج مع
لهجة التأنيب التي صاحبت كلماته ، فشعرت

بعدم الارتياح :

_ ((البيت بيتك)) .

– أظننا اتفقنا على أن هذا غير صحيح .
المنزل ملكك ولا أريد أن تكون لى علاقة به

قال لها ذلك بقوة أجفلتها .

– سأبيعه اذن وأعطيك النقود . عليك أن
تدعنى أفعل هذا .

– على أن أدعك تفعلين ؟

ردد جملتها هذه بلهجة غامضة وهو يسكب

لنفسه كوبا آخر من العصير . وشعرت

بالراحة وهي تراه هذه المرة ، يرشف العصير

بهدوء :

– ((لا شئ يرغمنى على ذلك)) .

- آه ، لكن . . أرجوك ! يجب أن أفعل شيئاً

لأساعد ديفى ! عليك أن تدعني أساعد

أخى .

عليك أن تدعني أساعد أخى .

واستعرت النيران فى عروق رونان وأثارت

كلماتها غضبه ، حتى بات عاجزاً عن

التصرف بعقل أو منطق .

عليك أن تدعني أساعد أخى !

ومن ساعد روزالى عندما جعل ديفى كورنويل
جمالها يذبل ، وسلبها آمالها وطاقتها الكامنة
، ثم دمرها بحركة واحدة لا مبالية ؟ من ساعد
والديها وقد حطمهما دمار فلذة كبديهما ؟
لقد خلف ديفى دماراً أسوأ من ذلك الذى
يخلفه الاعصار ، وها هى تطلب منه العون
لانقاذه .

اشتدت قبضته على الكوب حتى ابيضت
مفاصل أصابعه فخاف أن تتحطم فى قبضته

- رونان ، أرجوك . . أخبرني فقط بما تريده ،
ولن أتوانى أبدا عن تنفيذه .

ولم تدرك ليلي الفخ الذي وقعت فيه الا بعد
فوات الأوان .

- أى شئ ؟

ألقى رونان هذا السؤال برقة شيطانية ، وهو

يتأملها بوقاحة ويجول بعينه الزرقاوين

الفولاذيتين في مفاتن جسدها .

غصت ليلي بريقها ، وبدا لها أنه يعلم مما

ارتسم على وجهها ، أنها عاجزة عن خداعه

أو الوفاء بوعودها .

ثم ضحك بوحشية قاسية جعلتها تجفل ألما ،

وقال بلهجة مسمومة جمدت الدم في عروقها

.

– حتى لأجل عزيزك الغالى ديفي . . لا

أظنك تقبلين بأن تحقري نفسك بلمسي مرة

أخرى .

وشعرت بالكآبة تخيم عليها . ليته يعلم مدى

تلهف فؤادها الخائن الى ذراعيه ، وحينها الى

ملامسات أصابعه القوية وكيف أن قلبها

يشعر بالخواء والضياع من دونه . فلمسة

واحدة منه تكفى لتحرك حواسها كلها .

وتابع رونان ، هامسا بحقد :

_ ((أخبريني ، يا حبيبتى . لم تكنين لديفي

كل هذا الحب ؟)) .

_ ألا يمكنك أن تفهم ؟ أليس هذا واضحا ؟

انه أخي وعائلي الوحيدة . . ولكنك ، لا

تفهم مثل هذه الأمور !

توهجت عيناه بنظرة جعلت قلبها يخفق خوفا
. وظنت للحظة أنه سيقذفها بالكوب الذى
كان يمسك به بحدة ، فأجفلت .

.

ولكنه أخذ نفسا عميقا وهو يجرع آخر فى
محاولة واضحة لكبح جماح غضبه الذى كاد
ينفجر .

- ربما ليس لدى أخ أهتم به ، مثلك .

قال ذلك وهو يشد على كل حرف ينطق به
. . فارتجفت ليلي وكأنها تشعر بوقعها على
جلدها الحساس .

- ولكنني أعرف أن حبك العميق لشخص
ما يجعلك مستعدة للقيام بأعمال ما كانت
لتخطر على بالك وأنت في كامل عقلك .

سألته لتغير الموضوع :

– ((متى ستغادر ؟)) .

نظر اليها نظرة ساخرة :

– ((هل نسيت أنني باق هنا)) .

– لن يعود ديفى !

- ربما لدى أسباب أخرى للبقاء .

- هل ستخبرني لو سألتك ؟ انك تخيفني يا

رونان . ليس من عادتك أبدا ألا تكون

معتدلا في تصرفاتك .

- وليس من عادتك أنت أن تكوني حمقاء

بمثل هذا الحياء والحشمة ، كزهرة الزنبق التي

تحملين اسمها .

قذفها بهذه الكلمات بوحشية ، لكن ليلى
سرت وهي تراه يسير الى كرسي يلقى بنفسه
عليه .

- والآن أخبريني ، يا ليلى الحلوة ، ما الذى
أخبرك اياه ديفي ؟

- بكل شئ .

.

- كل شئ ؟

قال ذلك وهو ينظر اليها غير مصدق على
الاطلاق .

- وما زلت تساندينه متغاضية عما فعل ؟

ليلى تعلم أن ديفى أحق وعديم المسئولية ،
ويحتاج الى التأديب . أما ما لم يكن يستحقه
فهو ملاحقة رونان له ، وتصميمه على
الانتقام منه بقدر ما يستطيع ، مهما كلفه
الأمر . فهو غير عابئ بالخوف الذى يمتلك
ديفى ليل نهار ، محولا لونه الى لون رمادى
من الذعر لمجرد التفكير فى رونان غيرين .

- كن عادلا ، يا رونان .

وجلست على كرسى أمامه ، وجسمها
النحيل مائلا نحوه وعيناها الذهبيتان تتوسلان
اليه بأن يتفهم أخاها المشاكس العنيد .

– انه صغير السن . . لم يكن قد بلغ
العشرين من عمره حين قابلته ، كما أنه على
شئ من الحماسة .

– قولي هذا مرة أخرى .

قال ذلك وقد ازدادت ملامحه صلابة ،
وخلت عيناه الفولاذيتان من الرقة .

- وهو الآن يشعر بالذنب .

- حري به أن يشعر بالذنب ! انه يستحق
كل ما سيحدث له .

لم يكن في عينيه العدوانيتين أثر للرحمة .

- ولكن الغريب في الموضوع ، هو أنك لم

تسألني عن دورك في هذه القصة ؟

- آه ، هذا سهل معرفته .

.

تمنت ألا يكون ذلك صحيحا ، ولكن لم يكن

أمامها من خيار سوى مواجهة الواقع القاسي

. فقد وصلت الى تلك النتيجة المؤلمة في

ظلام الليل ، بعد ساعات طويلة من التفكير
والتساؤل .

- سهل ؟

كانت هذه الكلمة نبرة غريبة مقتضبة ، مع
كل ما حدث من قبل .

- آه ، لا أظنك ستحاول الادعاء بأن ما
أقوله غير صحيح . الأمر في غاية البساطة ،

أردت أن تصل الى ديفى من خلالى . فبعد
أن يئست فى العثور عليه ، تحولت الى ،
فسعيت لايدائي لعقاب ديفى .

وخيل اليها لبرهة أنه يشعر بوخز ندم . لكنها
عندما عادت لتنظر الى وجهه ، لم تر أثر
لشئ كهذا .

– وهذا ما حدث ، أليس كذلك ؟ كان
الأمر نوعا من الثأر حيث تدفع الأسرة

بأجمعها ثمن جريمة ارتكبتها فرد منها . . ألحق
ديفي الأذى بأسرة غيرين ، فاستحقت أسرته
بأكملها العقاب ، أليس كذلك ؟

- نعم ، هذا صحيح .

لم يخفِ ديفي عنها شيئاً اذن ، ودهش وهو
يجد صعوبة في تصديق ذلك . . عندما
أكدت له أنها تعرف القصة بأكملها ، لم
يخطر له أنه اعترف لها بما فعل ، اذ كان واثقا

من أن شعوره بالخزي قد يجعله يخفي بعض
الأمور .

ولكن يبدو أنه قلق من شأن الوفاء الأسرى
بين هذين الشقيقين . . لم تكن ليلى على
علم بجرمة أخيها فحسب بل بذلت جهدها
لمساعدته على الهرب من العدالة .

صمت رونان ، وتبدلت ملامح وجهه بعض
الشيء ، مما جعل ليلى تتساءل عما اذا كان
يراجع نفسه .

•

– أليس هناك ما يمكنى القيام به ؟

نظر اليها متأملا ، وعيناه قائمتان .

– هل كنت حقا ستبوعين البيت ؟

– طبعا ! ولن أتوانى عن ذلك . . سوف . .

وسكنت متوترة عندما نهض رونان واقفا
فجأة ، فتنبعت الى طوله الفارع ، وروعة
جسمه القوي .

لقد جربت مرة كيف يكون الاستمتاع بهذه
القوة ، شعرت بها تحتضنها برقة وتمسكها
وتسندها . كم كانت بهجتها كبيرة وهي تشعر
بالحب في كل ذرة من كيانها .

مال رونان نحوها ووضع أصابعه القوية المربعة
الأطراف تحت ذقنها يرفعها الى أن أرغمت
عينها الكهرمانيتان المتسعان على مقابلة
العنف المحرق في عينيه .

ثلاثون ثانية ، أربعون ، خمسون مرت بصمت
مطبق وهو يمسكها بهذا الشكل ، مسحورة
غير قادرة على الحركة . لا تكاد تقوى على
التنفس وهو يتفحص وجهها وكأنه يريد أن
ينفذ الى روحها ليجد الجواب الذي يبحث
عنه . ولأنها لم تكن تعلم ما يريده بالضبط ،

بقيت جامدة وقد استجمعت كل ما لديها

من شجاعة لتواجه تفحصها .

وفي النهاية ، أخذ رونان نفسا عميقا ثم أطلق

آهة مرتجفة قبل أن يتركها ويبعد شعره الناعم

عن وجهه ، وهو يتمتم بخشونة :

_ ((أظن أن أخالك لا يستحقك)) .

جعلت كلماته الخشنة والمفاجئة قلبها يخفق

بوهن ، وأنها لمحت نورا في نهاية ما يشبه نفقا

مظلما لا نهاية له . . أيعقل أن يتصدع درعه

الحصين ؟ ويصغى اليها ؟

عليها أن تحاول لآخر مرة . قالت ضارعة :

((اسمع ، ألا يمكننا أن نحل هذه المسألة بيننا

نجن الاثنين ؟ ألا يمكننا . ؟ ؟)) .

كان يقع أسير اغوائها . لكن التورط مع

ليلي سيعقد الأمور ، لأنها ستقنعه بالتحول

عن الطريق الذي صمم على سلوكه ، فينجو

أخاها بفعلة ولا يدفع ثمن الآلام التي سببها

- لا شئ شخصى بيننا . . وهذه المشكلى

بينى وبين ديفى وحده .

نفدت هذه الكلمات فى كيانها كما ينفذ

السيف القاطع .

- آه ، لا ، هذا ليس صحيحا !

واندفعت واقفة عندما رآته يهم بالابتعاد

ليضع حدا لهذا الحديث ، ثم أمسكت ذراعه

توقفه عن متابعة السير . نظر رونان الى يدها

لحظة وقد بدا أنه سينفض ذراعه منها ، لكنه

تركها مكانها بينما كانت تقول بصوت مرتجف

: ((لكنك ورطتني معكما ، وجعلت الأمر

شخصيا عندما طلبت مني الزواج)) .

فأجابها ببرود : ((ولكنني كنت أعرف أنك

أخت ديفي وهذا ما كان يهمني)) .

ذهلت ليلي وهي ترى نفسها واقفة على

رجليها مع أنه خيل اليها أنهما قد تتحطمان

الى شظايا زجاجية صغيرة لدى أدنى حركة .

– ان كنت تعلم أنني . . لماذا . . لماذا اذن

.

.

بذلت جهدا بالغا لتخرج هذه الكلمات من
بين شفثيها البارديتين .

– لماذا تزوجتك ؟ أم لماذا طارحتك الغرام ؟

فقدت ليلي أعصابها عند سماعها كلماته تلك

. . وأذابت حرارة الغضب الجليد الذي جمد

مشاعرها .

– الحب ! اياك أن تصف ما فعلته معي

بالحب ! كلانا يعلم أنه لم يكن كذلك !

– ما الذى كانت تتوقعه ؟ الشعور بالذنب ؟

أم الندم ؟ خاب أملها ، فى كلتا الحالتين .

لكنها لم تكن تتوقع قط ، هذا الصمت

الجامد ، وعدم التجاوب معها ، وكأن

مصراعين من الفولاذ انغلقا على عينيه ،

ساترين كل أثر للمشاعر .

– – أخبريني اذن بالحقيقة ، لماذا طارحتني

الغرام ؟ لماذا لم تكتف بأن أحبك . .

وأتزوجك ؟ لماذا لم ترحل تلك الليلة ؟

– لأسهل الأمور عليك ؟ آه ، لا يا جميلتي

! لم أشأ أن تقولى ان زواجنا لم يكن حقيقيت

، أو مكتملا ، وعليك الآن أن تتابعي

اجراءات الطلاق التي تستغرق سنوات قبل

أن تتزوجي رجلا آخر .

– لم يكن كلامه صحيحا تماما ، حتى أن نبرته

بدت زائفة . لكنها لم تستطع أن تضع

اصبعا على ما كان يقلقها بالضبط ، كما
أن جمود ملامحه لم يساعدها على الاطلاق .
فملامحه خلت من التعبير ، وتحولت عيناها
الى قطعتين من الفولاذ الامع تحت أهداب
كثيفة سوداء .

وقالت متلعثمة : ((ولكن ان كان على أن
انتظر سنوات لأحصل على الطلاق ، فذلك
ينطبق عليك أيضا)) .

فأجاب رونان بغموض ولهجة فاترة : ((نعم
، وعلى أيضا)) .

الفصل السادس

6 - لا تقولى لا

- لقد أنذرتك بأن ديفى لن يعود .

مضى أسبوع تقريبا على هرب أخيها من
بيتها . أسبوع كان على ليلي فيه أن تتكيف
ببطء مع عودة رونان الى حياتها .

الا أنها لم تتكيف مع شئ ، بل تعلمت أن
تتغلب على صعوبة وجوده في بيتها ، وتعيش
مع غليان مشاعرهما وهي تراه مفروضا عليها
يومية .

والحق يقال ان الذنب ذنبها وحدها ، اذ
أرادت أن تثبت عدم اكترائها بعودته ،
فارتدت الخطة عليها بشكل مؤلم .

عندما أعلن رونان ، في البداية ، عن بقائه ،
أرادت أن تقاتله كي لا يبقى هنا ، إذ لم تكن
تحتمل وجوده قريبا . ولكن خطر لها ، أنها لو
عارضت وجود رونان بشدة ، لظن بأنها تهتم
لأمره ، لأدرك أن شعورها مختلف عما ادعته
، وهذا آخر ما تريده .

لهذا السبب وجدت أنه من الأنسب لها ألا
تكثر له حتى يتأكد ، أنه لم يعد جزءا من
حياتها .

وعندما سأها عن الغرفة التي سيستعملها ،

هزت كتفيها بعدم اكتراث :

.

_ ((وهل هذا مهم ؟ انه بيت كبير وغرفة

كثيرة ، وأظنك ستجد لنفسك غرفة مناسبة

بين السبع غرف . اختر ما يجلو لك ،

ويمكنك حتى أن تستعمل غرفة النوم

الرئيسية الخاصة بصاحب البيت ، اذا شئت

. ((

أنبأها عبوس رونان بأنه أدرك أنها تشير الى
الغرفة التي أمضيا فيها ليلة عرسهما .

- ولكنني كنت أظن أنك . .

- أنام فيها ؟

وتكلفت الدهشة لهذه الفكرة .

- أبدا في الواقع ، لن يدهشني ان وجدت
شيئا متعفنا تحت خشب أرضية الغرفة ، لأن
رائحة قدرة تفوح في المكان . وهذا هو سبب
انتقالى الى احدى الغرف التى تطل على
حديقة البيت الخلفية .

مضى أسبوع الآن على وجوده في المنزل وهو
أشبه بأسد جائع ينتظر فريسته بصبر ، بينما
لا أثر لديفى .

– لقد جعلت أخی یفر خائفا ، فدمرت
بذلك لعبتك الصغيرة القدرة . وان عاد
دیفی لیضع قدمه فی هذا البیت ، فسأتفاجأ
كثیرا .

فأجاب رونان دونما اكتراث ، وهو یقرأ
الجريدة امام مائدة الافطار فی المطبخ الريفی
الفسیح .

– لكننى لن أدهش . أظنى ، من هذه
الناحية ، أعرف أخاك أكثر منك . انه بحاجة
ماسة الى المال ، وهذا ما يجعله يلجأ الى أى
شئ للحصول عليه .

– ليس عليه أن يحضر شخصياً .

.

توقفت ليلى عن الأكل ، وأخذت ترتشف
قهوتها بدلا من ذلك . كان من المستحيل ألا
تقارن بين مظهر رونان المسترخى ، فى بنطلونه
الجينز وكنزته الرياضية الزرقاء ، ومظهرها
الرسمى الجاف ، وهى ترتدى بلوزة بيضاء
مخرمة وتنورة صفراء لطقم من أطقمها التى
ترتديها للعمل . كانت تعى تماما أنها أشبه
بزائرة غريبة فى هذا المنزل بينما رونان
يتصرف فيه براحتة .

– يكفى أن يتصل تليفونيا . . لتحضري له

ما يحتاجه من مال .

وأبعد رونان الجريدة من أمامه وأخذ يتأمل

ليلي متفحصا .

– انك حقا رقيقة القلب الى حد مزعج .

بدا عطوفا تقريبا . وأثارت هذه الرقة غير

المتوقعة في كلماته توترها . سبعة أيام أمضتها

بجواره لم تخفف من تأثير ملامحه الرائعة ولا من

تألق عينيه المغناطيسيتين ، ولا من قوته

البالغة .

ردت عليه بحدة ، تقاوم خفقان قلبها

المفاجئ :

_ ((رقة القلب هي ضرب من الحمافة

بالنسبة اليك)) .

رفع رونان حاجبيه دهشة ، وسأها باستهزاء :

_ ((هل قلت أنا هذا ؟ ولكن في مطلق

الأحوال ، هذا لمصلحتي)) .

- كيف ذلك ؟

ونفضت عن المائدة وسارت نحو غسالة
الأواني تضع صحون فطورها فيها ، وتعيد
اغلاقها بعنف كشف عن غليان مشاعرها .

- حسنا ، يبدو أن ديفى يحسن استغلالك .

وعلى رغم من تواريه عن الأنظار حاليا ،

أظنه سيخرج من مخبئه بعد فترة قصيرة ،

ليجدني هنا .

فأخذت ليلي تفكر بمرارة كيف سينقض عليه

كالوحش الكاسر .

اختار رونان من بين كل غرف المنزل ، تلك

المجاورة لغرفة ديفى ، ليتمكن من سماع صوت

دخوله الى غرفته ان جاء متخفيا في الليل . .

وبما أنه نادرا ما يغادر المنزل أثناء النهار ،

فلن تستطيع ان تمنع أخوها من الوقوع في
الفخ الذى نصبه له .

.

– أظنك قلت ان لديك عملا تقوم به أثناء
وجودك هنا .

فأوماً رونان برأسه ببطء :

– ((هذا صحيح ، المفروض أنها رحلة عمل
و . . . للعمل كما هي لل . . .)) .

وبتر جملته ، ولم تستطع هي أن تضع كلمة
مناسبة في الفراغ ، وكلمة الاستمتاع لا
تناسب أى معنى رغم أن عليها أن تعترف أن
رونان يشعر برضا حاقدا في لعبة انتظاره هذه

.

– لقد قلت انه عليك معاينة المكان .

– نعم .

وافقها رونان الرأى وهو ينهض بكسل

ويتمطى باستمتاع :

_ ((انه ناد وحانة للرقص ، خطر لى أن
أذهب الليلة لرؤيتهما حتى أحكم على نوع
زبائنهما)) .

حولت لى نظراتها عنه بسرعة ، متجاهلة
جاذبيته القوية . كان قميصه القطنى ملتصقا

بعضلات صدره وبنطلونه الجينز شديد
الالتصاق بساقيه الشاخصتين القويتين ، وقالت
له فجأة :

_ ((لا يبدو لي أنهما من الأشياء التي تهلك
عادة)) .

- هذا صحيح . ولكنني سمعت أنهما في حالة
مادية سيئة مما يعني أنها صفقة جيدة فاذا
وجدتهما كذلك ، فقد اشتريتهما .

هذا ما فعله مع ديفى بالضبط ، وأرسلت
هذه الفكرة قشعريرة باردة في كيان ليلى .
أترأه سيقوم هذه المرة بإحدى أعماله الشريرة
، محولا الوضع الى مصلحته ، تاركا أصحاب
المكان في ارتباك وضياع كما فعل مع أخيها ؟

سألته بلهجة لاذعة :

_ ((ما الذى تبحث عنه ، يا رونان ؟

شخص آخر تقلب حياته رأسا على عقب ؟

((.

قابل رونان تعليقها اللاذع هذا بنظرة تأمل

بطيئة زادت من الغليان الذى كانت تشعر به

فى داخلها .

- دمر ديفى نفسه بنفسه ، يا ليلى . لم يكن

بحاجة الى مساعدة منى .

- ولكن لا أحد سواه يدفع الثمن .

رغم أن رونان كان يتقدم فقط ليضع طبقه
وفنجانه في غسالة الأواني ، إلا أن ذلك
استنفذ كل ما لديها من سيطرة على النفس
للثبات في مكانها بسبب قربه منها الى هذا
الحد . بدا بجانبها مهيبا قويا الى درجة خطرة

– أتعرف ما الذى تفعله بأخى ؟ انه لا يأكل
ولا ينام . وان غفا دقيقة راودته الكوابيس ،
كنت أسمعه يصرخ . .

وماتت الكلمات فى حلقها وقد رفع رونان
كتفيه العريضتين يهزهما بعدم اكتراث ، وهو
يقول :

– ((اننى أعرف جيدا معنى الأرق . المعذرة
!!)) .

.

بعد أن أطلق كلماته الأخيرة محذرا ، قفزت
ليلى مبتعدة عن طريقه ، وعيناها تتحولان
الى قامته الصلبة وهو ينحن ليضع ما بيده
في غسالة الصحون .

بدا شعره الأسود الجميل تحت أشعة الشمس
المنسابة من النافذة رائعا مموها بالذهب ،
تتألق فيه خطوط نحاسية تتخلل دكنة شعره .

كان قد طال عما كان عليه عندما قصه يوم
الزواج فلم يعجبها ، وتشوقت أصابعها الى
أن تداعبه وتشتبك به حيث يجمعه عند رقبته
ناعما متألقا .

– ما رأيك ؟

أيقظها هذا السؤال من أحلام اليقظة بعنف
فالتفت لتلقى عيناها الذهبيتان الفولاذيتان

، وطرفت بعينها باضطراب وهي تدرك أنه
يتوقع منها جوابا لسؤال لم تكن سمعته .

- هذا ممكن .

قالت ذلك مراوغة وقد تملكها ارتباك مؤلم
وهي ترى أفكارها جعلت حلقها يجف بحيث
خرج الكلام أبح متهدجا .

– سَأمر لأأخذك اذن بعد انتهاءك من العمل

، فالنادى لا يغلق أبوابه قبل ذلك . .

– انتظر لحظة !

وهزت رأسها لتطرد منه تخيلاتها تلك .

– أى نادٍ ؟

.

– ذلك الذى سأقصدہ هذا المساء . ذلك
الذى وافقت لتوك على الذهاب اليه معى .

– لم أفعل شئ كهذا .

لكنها ما لبثت أن أدركت أن هذا هو
السؤال الذى لم تسمعه . وقد فهم رونان من
جوابها المراوغ أنها وافقت على عرضه عليها
مرافقته . فعادت تقول :

_ ((لا أدري ما الذي جعلك تفكر في أنني

أريد الذهاب الى أى مكان معك ، اننى

أفضل الموت على ذلك)) .

كانت رجفة الاشمئزاز التى صدرت عنها

القشة الأخيرة التى قسمت ظهر البعير .

فطوال الأسبوع الماضى وهو يجاهد فى سبيل

السيطرة على مشاعره نحو ليلى . وكأنه

يحاول عبثا وضع غطاء على فوهة بركان على

وشك الانفجار ، أو اعراض تدفق حممه

البركانية بشبكة صيد سمك صيدانية .

بعد ليال طويلة من الأرق ، محاولا أن

يتجاهل ردة فعله ازاء مرآها ، ورائحتها ،

ورنة صوتها ، عيل صبره ، وأصبحت رغبته

فيها جامحة الى حد أنه لم يعد يهتم لما قد

ينتج عن استسلامه لها .

حتى ليلي لم تكن أحسن حالا ، اذ بعد

تعبيرها الفظ عن مشاعرها نحوه ، بدت وكأنها

تراجعت منكمشة على نفسها . ولكنه أخذ

يفاجئها وهي تتأمله من حين لآخر ، دون أن
تدرى بأنه يراها ولأنه كان يشاركها شعورها
كان يدرك مبلغ ما في عينيها من شوق اليه .
لم يعد من سبيل لانكار شوقهما نحو بعضهما
البعض . فقد كان أشبه بوميض البرق
يتلاعب حولهما في ليلة عاصفة ، يتطاير فيها
الشرر في الجو ويزيده اختناقاً مع كل دقيقة
يمضيانها معا .

لقد نال قسطه من التوتر ، وآن الوقت
للحد من ذلك والا ستكون نتيجة الانفجار

بقوة قبله ذرية ولكن النتيجة هذه المرة

ستكون عاطفية لا مادية .

لم تستطع احتمال قبوله رفضها ، وتجاهله

ردها الساخط العنيف ، اذ جاء التأثير

معاكسا لما كانت تتوقع ، مما جعلها تعيد

التفكير في الأمور للحظة قصيرة .

.

وقال لها :

– ((سأذهب لوحدي)) .

– وماذا لو عاد ديفى ؟

ما الذى تفعله ؟ ان ذكرته بسبب وجوده هنا
فسيفغير رأيه ويتخلى عن فكرة الذهاب الى
النادى ليبقى منتظرا عودة أخيها .

لكن الدهشة تملكها وهى ترى رونان غير
منزعج لهذه الفكرة :

_ ((على أن أجازف . وعلى كل حال ،
جبرى يتولى اقتفاء أثره ، وأخوك اللعين ليس
السبب الوحيد لوجودي هنا)) .

_ طبعا ، فأنت تحاول أن تزيد ثروتك بغرس
مخالبك فى ضحايا أخرى لا تستطيع رؤية
مراميك الخفية .

قذفت هذه الكلمات اللاذعة في وجهه المظلم

المنضبط .

فقال يثبت كلامها بعدم اهتمام :

.

_ ((لا شك في ذلك . ولكن لدى أسباب

أخرى شخصية ، فنحن زوجان .

قال ذلك موضحا بينما أخذت وهي تحديق

اليه بارتباك قبل أن تنفجر قائلة :

— ((وكلانا ، يعلم أن ذلك لا يعني شيئاً على

الاطلاق !)) .

فرماها بابتسامة بطيئة خطيرة وهو يتقدم ببطء

نحوها جاعلاً أياها تتصلب في رفض غريزي

ثم يتمتم بنعومة وبصوت أجش :

– ((ربما ، ولكنه زواج شرعى ، يا حبيبتى
ليلى ، و . . قد أتمناه بشكل رائع ، فأنت
زوجتى وتحملين اسمى)) .

– كان ذلك ملائما لهدفك ، لكن سبق لى
أن رتبت أمر زواجنا المهزلة ، ولن أزعج
نفسى باعادته الى ما كان عليه .

لكن صوتها الاهت دمر صورة الانسانية
المنضبطة التى حاولت أن ترسمها لنفسها ،

فلمجرد اقترابه منها ثارت كل خلية في
جسمها مطالبة به ، ومتعطشة اليه فكيف
يمكنها أن تخفى عنه ذلك ؟

قال لها بنعومة :

_ ((من المؤكد أنه ملائم جدا . .)) .

نسج صوته المنخفض الأبح حول أحاسيسها
سحرا أيقظ كل منهما .

راح يقترّب منها حتى لفحت أنفاسه وجهها
وتغلّغت رائحة عطره القوية في أنفها .

.

– بإمكاننا الآن أن نتابع ما بدأناه .

– أبدا .

ولكنه تجاهل ردها وراحت أصابعه تلامس
وجنتها برقة فائقة . ونزلت اصابعه البطيئة
الى ما تحت فكها الناعم اللين ثم الى عنقها
الرشيق .

– أنا . . لا أريد . .

– كاذبة . .

قال هذا بنعومة واصابعه تجول على عنقها ،
فنشب في داخلها صراع حاد بين عقلها
ورغباتها هدد بتمزيق كيانها .

كانت تريد ذلك ، تريده الى حد جعلها تتألم
من مدى الاثارة التي تملكتها ، فمنذ ليلة
عرسهما وهي تحترق شوقا اليه .

خلال تلك الساعات الطويلة الرائعة المليئة
بالمشاعر ، فتح رونان لها باب منجم من
الأحاسيس لم تعرفها قط ، ولقد فتح ذلك
الباب تلك الليلة وعندما رحل أخذ المفتاح

معه وبذلك لن تتمكن من اغلاقه في وجهه
مرة أخرى حتى ان حاولت ذلك . . فوحده
هو قادر على اشباع الرغبة والشوق اللذين
أيقظهما فيها حينذاك .

– لا أريد . .

حاولت التملص منه مجددا ولكن دروعها
سقطت أمام عناقه ، وعادت تلك الابتسامة

الشيطنانية الى شففيه وهو يفك عقدة شعرها
ويتركه مسترسلا على كتفها ، ليجر بعدها
رأسها برقة الى الخلف ويرغمها على مواجهة
نظراته الهادئة المتأملة .

– أنا لا أصدقك ، يا حبيبتى . . فما جمعنا
تلك الليلة كان أشبه بحريق هائل خرج عن
السيطرة ، وبات من الصعب على شئ تافه
كالتفكير العقلاني أن يخمده . وأظن أن

الجمهر مشتتلا ، ولا يحتاج الى أكثر من لمسة
أو قبلة .

وانحنى ذلك الرأس المزهو ، وكأنه يريد تقبيلها
، لكن ابتسامة التوت ، وتحولت الى عبوس
عندما أبعدت رأسها عنه بعنف . فتابع كلامه

قائلا :

– ولكن ان لم نسيطر عليها فستحرقنا معا .

أما اذا كبحنها ، فقد نصاب بالجنون ، فلم

لا ننتهز اذن فرصة وجودنا معا ، يا زوجتى
الجميلة ؟ لماذا لا نعترف بأن كلينا يتلهف
لذلك ؟

– ألن يعيق ذلك طلاقك منى ؟

قالت ذلك بصوت أبح ، محاولة أن تتمسك
بالحجة الوحيدة التى طرأت على ذهنها ، اذ
رأت أنها قد تقنعه ليحررها من هذا العذاب .
فان لم يطلق سراحها فتضيع حتما ، فهى

عاجزة عن مقاومة حبها المدمر له أكثر من

ذلك .

وتملكها الذعر حين جاء جوابه على خلاف

ما توقعت :

.

__ ((ومن قال انى أريد الطلاق ؟ فعندما

ذقت طعم الحياة الزوجية فتحت شهيتى

للمزيد . أريد ان أتذوق المزيد والمزيد منها))

.

أغمضت ليلي عينيها لبرهة وكلماته الساحرة
الهامسة تداعب أحاسيسها . لكنها عادت
ففتحتهما حتى لا تذهب بعيدا في أحلامها .
لكنها كانت تسمع صوت تنفسه بوضوح
أكثر وتسمع خفقات قلبه المدوية كالرعد .

- تريد استغلالي لقضاء رغبتك الأنانية

فحسب .

لم ينكر ذلك . حتى أنه لم يظهر لمحة خجل أو
ارتباك ازاء هذا الاتهام العنيف له ، بل أوماً
وقد ارتسمت على شفثيه ابتسامة كريهة :

__ ((والأمر سيان بالنسبة اليك ، فقد قلت
انك توقفت عن حبي)) .

هتف صوت عميق في داخلها : كنت أكذب
! يا الهى . . ! كنت أكذب ! فأنا أحبه ولن

أَتوقف يوماً عن حبه ، فحبه يبعث في روح

الحياة .

– ربما حبك مات ، ولكنك لا تستطيعين

الادعاء بأن مشاعرك تجاهي قد ماتت مع

حبي .

تابع رونان يقول بعناد وقد بدت العزيمة على

ملاحه :

_ ((لا يمكنك الادعاء انك لا ترغبين بي
لأن ذلك كذب ، وكلانا يعلم ذلك ، انه
مكتوب على جبينك وفي عينيك . ولا
يسعك انكار تجاوزك معي ، والشوق الذى
تشعرين به ، والطريقة التى . .)) .

واستقرت أصابعه الطويلة على أسفل عنقها ،
تحت ياقة قميصها ، فكور شفثيه بانتصار لما
شعر به هناك .

- كلما لمستك خفق قلبك كعصفور متوحش
مع أنك تقولين انك لا تحبينى . اذن أنت
تعانين مما اهتمتى به للتو . انها عبارة عن
رغبة محمومة من دون احساس ، لذة جسدية
من دون مشاعر .

ثم تابع يقول هامسا وقد أحنى رأسه بعزم

راسخ :

_ ((أواه ، يا جميلتي ، ياله من سحر !

وياها من مشاعر عنيفة)) .

كان ينهى كل جملة بعناق سريع ، يعتصر
الفؤاد ألما من شدة رفته . عناق يمزق القلب
بوعود الحب الكاذبة ، والمشاعر التي لم
تساوره قط .

- فلم يهمنى ان كنت هدفا لاشباع رغباتك
، فلم تتدمرين أنت ؟ فكلانا راشد ، وكلانا
يعانى من ذات الحمى .

فقدت رشدها ، وأخذت تتجاوب مدعنة من
دون أن تدرى ما تفعله اذ لم تقو على
السيطرة على نفسها ، ولا على كبح
مشاعرها الجامحة .

لم تكن تستطيع غير تسليم نفسها الى ذراعيه
القويتين . . لم تكن تستطيع سوى التهد
معبرة عن السعادة التي يرفرف لها قلبها لأنه
يعانقها بهذا الشغف .

في غمره ذلك ، شعرت به يرفعها عن الأرض
وينقلها الى الأريكة ، ليمدها على الوسائد
المخملية الخضراء ويستلقى بجانبها وهو
يحتضنها قائلاً :

_ ((هذا ما يجب أن يكون بيننا ، وهذا ما

كان على الدوام وما سيكون مرة أخرى ان لم

تقاوميني . تعلمين أن هذا ما تريدينه ، يا

حبيبتى ليلي ، وتذكرى ليلة عرسنا الرائعة فلا

تقاومي اذن . لا تفكري في شئ ، بل اتركي

لقلبك العنان)) .

.

تذكرى . . ! وفي الهوة المظلمة التي غرق فيها
عقلها ، تردد صدى صوت رونان يقول هذه
الكلمة من قبل ، وبطريقة مختلفة تماما .

ففي ليلة عرسهما غلظ صوته وهو يوصيها
بشماتة بالأ تنسى أبدا (تذكرى !) قائلا ()
تذكرى جيدا . .) .

وكيف لها أن تنسى ؟ كيف لها أن تمحو من
ذهنها تصرفه معها يومها وانجرافها في تيار

المهجوم الذى شنه عليها ؟ كيف لها أن تنسى
خوفها لحظة تبتد الوهم فى نهاية تلك الليلة
الخادعة ، والحقيقة المخيفة التى دمرتها
أحلامها الحمقاء بالسعادة ، وحولتها فتاتا فى
لحظة واحدة ؟

- لا .

وفي عذاب اليأس ، انتزعت نفسها مبتعدة
عن عناق رونان الآثم ، ويداها تدفعان بعنف
صدره الصلب عنها . قالت بصوت ممزق :

_ ((لا أشك أبدا انك قادر على جعلني
أستمتع بما تفعله ، كلانا يعلم أنه ان لم ترافق
ذلك مشاعر قوية ، فلا يعتبر سوى شهوانية
بدائية تجعلنا بمستوى الحيوان)) .

أخذت أنفاسها تتسارع وهى تعي بأن رونان
قد تسمر بجانبها ، وأوقف هجومه العنيف
على حواسها .

- يمكنك بالتأكيد أن تؤثر في ، وأنا لا أنكر
أن ذلك . .

اهتز صوتها توترا وهى تتصارع بين الرغبة فى
صده ، وبين عنف المشاعر التى تدفعها الى

الاستمرار . وانتابها احساس قوى بالألم ،
وكان جسدها قد أصبح كتلة من الرضوض .

– بإمكانك أن تقبلي ، فأبلغ النقطة التي
أفقد فيها القوة على التفكير ، حيث تهزم
رغبات الجسد ، رغبات العواطف ، حيث لا
أعود بشرا بل مجرد انسانة مخبولة جائعة .

تعمدت أن تكرر كلماته هذه ، بلهجة لاذعة

:

_((كومة من الأعصاب والهرمونات ، آه ،

نعم . يمكنك أن تجعلني (أستمتع) بهذا !))

.

سمعت رونان يتنفس بصوت أشبه بالفحيح ،

ولكنها لم تجرؤ على رفع نظراتها الى ذلك

الوجه الذى لم يكن يبعد عنها سوى انشآت
قليلة .

- ولكن كن واثقا ، يا رونان ، أنه ان قررت
المضى قدما ، فسيزداد مقتي لك مع كل
لحظة استمتاع أعيشها . ان شئت استغلالي
لأغراض جنسية ، ودفعتني الى أن أعاملك
بالمثل ، فسأكرهك الى آخر عمري لأنك
جعلتني أنحدر الى هذا الدرك .

ساد صمت عميق مثقل بالخطر شعرت به
مطبعا عليها يكاد يخنقها .

تحرك أخيرا رونان مبعدا شعره بيده الخشنة
عن وجهه فأظهرت هذه الحركة مبلغ التوتر
الذى تملكه .

– قد يستحق الأمر العناء .

تمم ذلك بخشونة ، جعلت ليلى تجفل خائفة
، وهي تنظر الى وجهه بعينيها الواسعتين ،
لتجده وقد عاد الى جموده وانغلاقه . ولكن
ما ان التقت أعينهما حتى تغير مزاجه وأطلق
سيلا من الشتائم بصوت منخفض :

– اللعنة عليك ، يا ليلى !

قذف هذه الكلمات في وجهها وهو يقفز

عن الأريكة بحركة واحدة عنيفة :

_ ((أنت تحسنين اثارة غضبي ، لم يكن من

داع لتشبيهي بأحط أنواع الأحياء التي

زحفت لتوها من قوقعتها . . كان يكفي أن

ترفضي لأفهم غرضك)) .

– أحقا ؟

رماها بنظرة سوداء مليئة بالازدراء عبرت كل
التعبير عن مشاعره . فجاء هذه المرة دورها
لتشعر بنفسها وكأنها أخط أنواع الحيوانات .
. وهو شعور لم يعجبها على الاطلاق .

- حسنا ، سأتذكر ذلك في المستقبل .

قالت ذلك وهي تنهض واقفة .

- لا تنسي أن تفعلي ذلك .

كانا أشبه بقطين متخاصمين ، وهما يتبادلان
النظرات بحذر ، رافعين رأسهما ، وقد
تصلبت أكتافهما عداً . لم تشأ ان تكون
أول من يحول عينيه ، ولكنها أرادت تسوية
ملابسها المشعثة ولم تعرف كيف تخترق هذا
المأزق الصامت .

الا أنه وبعد أن أخذ يسيطر ببطء على تلك
الدوامة الهائلة التي كانت تغلى في داخله

لرفضها له ، وجد نفسه يتحول من شعور الى
آخر من دون أن يعلم أى منهما عليه أن
يستقر .

كان الشعور بالاحباط هو الذى استولى عليه
أكثر من غيره . احباط محرق مؤلم ، حوله الى
انسان غاضب خائر القوى . لكن المشكلة
هي أنه لم يعلم ما اذا كان غاضبا على ليلى ،
أم على نفسه ، أم على هذا الوضع المعقد
الذى وجدا نفسيهما فيه .

اللعنة على ديفى كورنويل ! حول تفكيره الى
الشخص الملام لورطته هذه . ليت ليلى لم
تكن شقيقة ديفى ! ولكن لو أنها لم تكن
شقيقة ديفى ، لما التقيا منذ البداية . فهو
سعى لحضور عرس صديقه ((هودغسن))
بغية التعرف اليها .

وعادت نظراته تتفحص شعرها الأشقر الرائع
وشفتيها المكتنزتين .

انه متعطش اليها ، بحق السماء . . انه
متعطش الى تلك العواطف المشبوبة التي
تبادلاها ليلة عرسهما ، ولا يمكنه أبدا أن
يدعن ! ويدعها تفلت منه بهذه السهولة .
عليه أن يبذل جهده حتى يجعلها تأتي الى
فراشه بكامل ارادتها ، عاجزة عن كبح
عواطفها .

لكن ذلك يتطلب اعتماد وسائل جديدة ،
ثمة أكثر من طريقة لسلخ هذه القطعة . فقد
كانت ليلي أشبه بقطيطة صغيرة غاضبة منها

بجوان مكتمل النمو . لذا ، عليه أن يعالج

معها الأمور باللين .

.

- هل أفهم من ذلك انك لن ترافقيني الى

نادى ((الليدز)) أيضا ؟

نظرت اليه ليلي بارتياح ، مستغربة هذه

الرقعة المفاجئة في صوته ، والابتسامة المتألقة

التي رماها به . ما الذي يا ترى ، غير مجرى

الريح ؟

فتحت فمها لتؤكد له أنها لا ترغب بمرافقته ،

عندما طرأت على بالها فكرة جعلتها تبدل

رأيها .

سيذهب رونان الى ((الليدز)) لمعاينة بعض

الأملاك ، فان أعجبته ، فسيضع يده عليها

، كما فعل مع ديفى تماما . وكانت تخشى أن

يلقى اصحاب تلك الأملاك المصير نفسه

الذي لقيه أخوها ، وتمنت لو تستطيع

مساعدتهم . فان ذهبت معه الليلة ، فقد

تتمكن من تحذيرهم ، حتى لا يرتكبوا أى

حماقة .

فاندفعت تجيب :

– ((لا)) .

واذ تغيرت ملامحه ادركت أنه فسر جوابها

برفضها مرافقته ، فعادات تصحح له بسرعة

:

_ ((أعنى أننى سارافقك الى الليدز)) .

اذ وكما سبق له أن أدهشها ، جاء دورها لتفاجئه . فقد طرف بعينه لبرهة وعاد بعدها الى توازنه وهو يسألها :

_ ((هل يمكنى أن أسالك لماذا ؟)) .

فهزت كتفيها بعدم اكتراث :

— ((لم أرافقك الى أى مكان منذ دهور . قد
لا يكون الليدز مكاني المفضل ، ولكن ان
كان هذا ما تعرضه علي ، فسيبرني قضاء
ليلة في الخارج)) .

فأجابها قائلاً :

.

_ ((انك غمرتيني بعطفك لتشيرفك لي
بالقبول . سنغادر البيت في الساعة ان كان
ذلك يناسبك)) .

لأول مرة منذ عودته ، شعرت ليلي بأنها
تمكنت الى حد ما من السيطرة على الوضع .
لقد أثبتت ذاتها ، وخلقتم لنفسها احساسا
بالارتياح حثها على رميه بابتسامة واسعة
متألقة :

— ((هذا يناسبني تماما)) .

ولم تدرك الا في ما بعد ، سبب نظرة الرضا
والارتياح في عينيه ، تلك النظرة التي رأتها
قبل أن يشيخ بوجهه عنها مباشرة .

7 - أمواج الحب

- هل أنت مسرورة ؟

همس بصوت دافئ في أذن ليلى ، بينما كان
رأسه منحنيا قرب رأسها ، وأنفاسه الدافئة
تداعب جلدها .

– هممم . .

كانت تشعر بالسرور حتى الآن بالنسبة الى
السهرة ، مع أنها لم تتوقع قط أن تشعر
بالمتعة . ولكن منذ اللحظة التي ظهرت فيها
عند أسفل السلم عند الساعة السابعة
بالضبط ، بدا وكأن الليلة ستكون مميزة .

كانت قد أمضت وقتا طويلا تفكر في ما
ستلبسه قبل أن يستقر رأيها على ثوب بلون
الشفق تصل تنورته الى ما فوق ركبتيها
مباشرة ، زينته بقرطين فضيين وعقد ملائم .
أما حذاؤها العالي الكعبين فمنحها مزيدا من
الثقة بنفسها وهي تبدو من الطول بحيث
تمكنت من النظر الى وجهه لترى تأثير
مظهرها عليه .

ولكن ما رآته في عينيه سرها وأخافها في آن
معا .

- جميل جدا .

قال ذلك ببطء ، وقد أثرت البحة في نبرته

على أعصابها وجعلتها تأخذ نفسا عميقا

وتطلق شهقة صغيرة مرتجفة .

- ولا بأس بملابسك أيضا .

وأرغمت نفسها على المضي في تقويمه مرورا

بقامته الفارعة الضامرة في بذلته الرمادية

الفضية الايطالية الطراز ، وقميصه الأبيض .

وأخذ قلبها يخفق غريزيا وهي تشعر بانجذاب

قوي نحو هذا الرجل الواقف أمامها .

بدا لها جذابا في ظل أشعة الشمس المائلة
للغروب التي أحالت خصلات شعره
النحاسية الى هب برونزية وكشفت عن
رجولته البارزة .

.

وبالرغم من جهودها الشاقة للحفاظ على
هدوئها ، الا أن جاذبيته المغناطيسية كانت

تشيع الدفئ في كيانها لتجعلها بالغة الضعف

ازاءها .

لعلها رجحت المعركة بشكل عام ، ولكن

الحرب بينهما لم تنته بعد .

وان ساورها الشك في الأمر ، فقد حصل

ذلك هنا وجسم رونان قريب منها ، ونظراته

مسمرة على وجهها ، وقد ارتسمت ابتسامة

غريبة على شفثيه المعبرتين .

كان يريح يده على كتفها العارية مذكرا اياها

بشعورها عندما كانت هذه اليد تضمها . لم

تستطع البقاء جامدة ، عليها أن تفعل شيئاً

والا سقطت بين ذراعيه .

فتملمت في مكانها عاجزة عن التخلص منه

أو تجاهله .

– فلنرقص مرة أخرى .

فتأوه باحتجاج :

– أريد أن أشرب شيئاً .

– انك ضعيف وجبان .

قالت ذلك بحدة لتتخلص من ذلك الاغراء

الذي حدثتها به نفسها ، ومن دون أن تعي

ما تفعل ، أمسكت بيديه القويتين قائلة :

– هيا ، لا يمكننا الجلوس هنا طوال الليل

بهذا الشكل ، فقد جئت معك لأستمتع

بوقتي .

.

وجذبتة نحو حلبة الرقص الخشبية الصغيرة ،
شاقة طريقها بين الجمع المزدحم . ثم راحت
تتنقل على الأنغام محاولة كبح جماح أفكارها
أكثر منها التجاوب مع الموسيقى .

وكم دهشت وهي ترى رونان يرقص برشاقة
طبيعية غريبة بالنسبة الى حجمه فابتسمت
مسرورة ، وهي تحاول أن تحول أفكارها الى
شئ أكثر امتاعا .

كانت خطواتهما منسجمة ، وجسداهما

يتمايلان متجاوبين مع موسيقى الفيثارة

والطبل من المسرح .

– انهم يجيدون العزف .

وأشارت برأسها الى الفرقة الموسيقية المحتشدة

في زاوية والمؤلفة من أربعة فتية لا يكادون

يتجاوزون سن المراهقة ، يفتقدون الى الهدام

الحسن ولكن يعزفون بشكل حيوى ومناسب

لليلة كهذه .

– يستحسن أن يستمروا بالعمل هنا ان

قررت شراء هذا المكان .

جاهدت لترفع صوتها فوق دقات الطبل واذا

بها تشهق وهو يمسك بيدها ويديرها نحوه :

– أتظنين ذلك ؟ .

ألقي هذا السؤال وشفتهاه تكادان تلمسان

أذنها ، ما جعلها تتصلب متوترة الأعصاب .

– حسنا ، لقد أحببتهم . ولكنني لست

خبيرة في هذا الميدان .

– أنت أخت ديفي وكان عليك أن تعلمي
شيئا . من المؤكد أنه ليس الوحيد الذي يملك
موهبة موسيقية في أسرتك .
ما أن ذكر اسم ديفي ، حتى تبددت البهجة
التي كانت تشعر بها .

فذكرى أخيها وأحلامه الضائعة ، تلك
الأحلام التي كانت تراوده منذ الصبا ،

أعادتها الى واقعها ، وذكرتها بذلك الوضع
الصعب الذي فرضه رونان على أخيها ،
وحوله الى انسان يائس مدمر . وتغير مزاجها
فجأة ، وتسمرت قدمها وكأنما قيدتها فجأة
بثقل من حديد ، فوقفت وسط حلبة الرقص
دونما حراك ، غافلة عن الأجساد التي تدور
حولها .

فأخذ رونان يعنف نفسه : ((يا لى من أحمق
غبي ! ما الذى جعلنى أذكر اسم ديفي ؟ بعد

أن بدأت تسترخي وتستمتع بالحفلة ، اذ بي
أذكرها به . . .)) .

وكان ما وجدته مع ليلي أشبه بدوامة من

المشاعر تارة تعلو وطورا تهبط .

ولكنه ، اذا حدث وفكر في التخلي عنها ،

فما عليه الا أن يتذكر مظهرها وهي ترقص .

فصورتها وهي تتمايل على وقع الأنغام

مبتسمة ، تكفي لتضرم شوقه وتلهفه اليها .

ذلك الشوق الذي تحول هاجسا في الأيام

الأخيرة .

نظر الى وجه ليلى الجامد ، ورأى التعنيف
المر في عينيها ، فتغير مزاجه على الفور .
- نعم ، أنا أخت ديفي ، ولهذا علي أن
أحذر أولئك الفتيان من التعامل معك .
لأنك لن تكفي بموسيقاهم ، وموهبتهم ،
وانما ستدمر حياتهم وتمتص دماءهم وتقبض
على أرواحهم .

- لا أريد الانتقام من أحد غير ديفي .
رد عليها بذلك ببرودة ، والقناعة التامة في
صوته .

أرسل الحقد الأسود الذي شاب كلماته
قشعريرة خوف باردة في جسمها الذي كان
يتوهج حرارة ، مما جعلها ترتجف متشنجة .
عليها أن تبعد عنه الآن والا أصيبت بنوبة
عنيفة من القيء ، هنا في وسط حلبة الرقص .

.

— . . يجب أن أذهب الى غرفة السيدات .

قالت ذلك وهي تشهق مرتجفة وتقفز مسرعة
قبل أن يستوعب ذهنها تماما التواء فمه
الساخر لعذرها الكاذب .
وفي غرفة السيدات ، غسلت وجهها بالماء
البارد واطمأنت معصمها تحت صنوبر الماء
لتهدئ من تسارع نبضها . ليتها لم ترافقه !
انها تكره رونان ، تكرهه وتعشقه في آن معا .
وقد يرتد ذلك عليها سلبا ان اشتعلت شرارة
أخرى في جسمها حين يقترب منها .

انها تكرهه الآن أكثر من أى وقت مضى ،
لأن هذه الهدنة القصيرة التي سادت بينهما
الليلة جعلت معالجة الأمور بينهما أصعب
وأكثر استحالة .

فعند عودتهما الى حياتهما العادية ، ستشعر
بأنها أشبه بساندريلا عندما دقت الساعة
الثانية عشرة . ولكن الأسوأ هو أن عربتها
والحصانين قد تحولت الى يقطنة وزوج من
الجرذان ، وحتى الأمير الجميل نفسه تحول الى
الجرذ الأكبر بينهما .

بقيت في غرفة الاستراحة لبعض الوقت ، ولم
تخرج منها الا بعد أن تأكدت من أنها لو
تأخرت لحظة أخرى فسيحطم رونان الباب
ويخرجها بالقوة . كانت تتوقع تماما أن تجده
منتظرا في الخارج لينقض عليها حالما تخرج ،
وكم كانت دهشتها بالغة وهي تراه واقفا عند
المقصف بكل هدوء .

- ظننتك اما هربت من النافذة .

قال لها ذلك بنبرة هادئة ، فأذهلتها بدقة

تكهناته لأفكارها . وتابع يقول :

– واما أنك أقفلت الباب على نفسك .

– أنا . .

.

وأخذت تفكر في جواب مناسب . لكن

رونان لم يكن يصغي . بل أضاف يقول :

– علينا أن نذهب ، حان الوقت لتغيير

المشهد .

وحان الوقت لمواجهته بجرأة ، فرفعت رأسها

بعزم وقالت :

- وماذا لو أنني لم أشأ ذلك ؟ .

- أتريدين البقاء هنا ؟

وأشار بازدرء ، الى حلبة الرقص الضيقة

المزدحمة ، والديكور القدر واجو الخانق

بالدخان .

عندما نظرت ليلي حولها ، اذا بفتى في آخر

البار يغمزها بعينه بشكل فاسق رافعا كأسه

ليشرب نخبها متفوها بكلام بدئ . ولحسن

الحظ كانت الموسيقى مرتفعة جدا بحيث
طغت على الكلمات البديئة التي قذفها في

وجهها .

– أنا . .

حاولت الكلام ولكنها لم تستطع أن تكمل

جملتها .

فقد أطبق رونان على معصمها بقبضته بقوة

أجفلتها ، ثم جذبتها بعنف مرغما اياها على

أن تتبعه متعثرة وهو يغادر المكان بخطوات

واسعة جعلتها تهوّل مرتبكة لتجاربه في

السير .

- دعني ، يا متوحش .

لم تكن واثقة ان كان يسمعها . لكنه وقف

فجأة فاصطدمت بظهره العريض .

وعندما استعادت توازنها ، عادت تقول :

- دعني أذهب .

واستعملت يدها الطليقة لتضرب بعنف

ذراعه التي تمسك بها ، شاعرة بقوة عضلاته

تحت قماش سترته الحريري .

- كيف تجرؤ على معاملي على غرار رجل
الكهف الذي كان يجر امرأته من شعرها ؟
- لو كنت أعلم أن هذا ما تفضليه . .
تعمد رونان جرحها بهذه الكلمات . كانت
واثقة من ذلك رغم أنها لم تحب الطريقة التي
أخذت يده غير الممسكة بيدها تلامس
شعرها الذهبي المنسدل على ظهرها . ولم
يتركها الا عندما أخذت تصفر ضيقا ،
فابتسم ساخرا وهو يقول :

– أردت ابعادك عن ذلك المكان . لا أريد

أن أقف وأتفرج على حثالة البشر يتوددون

الى زوجتي . . .

انفجرت تقول :

– زوجتك ؟ أنا لست زوجتك . . ! أنا . .

.

.

ولم تستطع أن تكمل جملتها لأن رونان
أمسك بيدها اليسرى ورفعها حتى أخذ ((
الخاتم)) الذهبي العريض الذي وضعه في
اصبعها منذ أكثر من شهر ، يلمع في ضوء
مصباح الشارع .

– انك تلبسين خاتمي .

قال ذلك بثقة بالغة في النفس ، دمرت
سيطرتها على نفسها . فهبت في وجهه قائلة
:

– انه دمغة التملك التي دمغتنى بها . . .

ونزعت الخاتم من اصبعها وأمسكت به

مضيفة :

- انه ليس خاتم زواج . . دليل حب وعهود

. انه أداة للتعذيب ، وطوق العبيد وضعته في

رقبتي . شأنك في ذلك شأن المستبددين

القساة الذين لا يعرفون سوى التملك

والتدمير .

ودفعته اليه بعنف فكاد يصيب وجهه :

- خذ ! لن ألبسه بعد ذلك لأنه ياوثنى ! .

لم يحرك رونان ساكنا ليأخذ الخاتم منها ،
ولكنه أخذ ينظر اليها بثبات وقد تحولت
عيناه الى قطعتين من حجر .

– لا تريده ؟ حسنا سأريك رأيي فيه !

واستدارت ، لتواجه قناة الري التي تمر
بمحاذاة موقف السيارات ، وقذفت الخاتم في
مياها التي بدت سوداء مخيفة في ضوء القمر
. ثم راحت تنظر اليه يتقلب في الجو قبل أن
يندفع ساقطا بعنف نحو سطح الماء المصقول
كالمرآة . ولكن عندما سمعت صوت ارتطامه

بالماء شعرت بالألم وكأن يدا وحشية

اعتصرت قلبها بقسوة .

مضت لحظة مفزعة ظنت أن رونان سيعاقبها

بعنف على ما فعلته . فقد ازداد توتر كل

عضلة في جسمه ، وتقبضت يداه وهو ينظر

في عينيها بعينين ملتهبتين . فاستجمعت ليلي

شجاعته لمواجهة الانفجار الذي كان على

وشك أن يحدث .

- ربما كان هذا للأفضل ، أو ربما للأسوأ .

تمتم ذلك بغموض ، تاركاً ليلى عاجزة عن فك رموز الكلمات الخفية ، فقالت غاضبة :
- بل للأسوأ ، وان كنت لا أدري كيف يعقل أن تسوء الأمور أكثر مما هي عليه الآن .

- تريدان الذهاب الى البيت ؟

أدهشها هذا السؤال الى حد مضت ثوان لم تستطع فيها أن تستوعبه .

البيت . . ذاك البناء الذي سيجتمعها مع

رونان في سكون الليل . . حيث ستذهب الى

فراشا وهي تعلم بانه على مقربة منها ، كما

كان يحصل في كل ليلة من الأسبوع المنصرم ،
فتسمع أصوات تحركاته وهو يستعد للنوم .
وفجأة ، بدت لها الأصوات المجهولة في
النادي أفضل كثيرا .

– ظننتك جئت الى هنا في عمل .

شعرت بالزهو لعدم الاكتراث الذي تمكنت
من اظهاره ، مسرورة لأنها لم تكشف عن
المشاعر التي كانت تساورها فعلا .

- لا أريد أن أعيقك . على كل حال ، ما
زال الليل في أوله .

- أتريدين متابعة السهر ؟

- لا أريد أن أعود .

تجنبتي بحذر النطق بكلمة (البيت) .

- ومن يعلم ؟ بما أننى لم أعد مدموغة بطابع ملكيتك . .

لوحث بشكل استفزازى بيدها الخالية من الخاتم تحت انفه ، مركزة نظراتها على شرارة الغضب التي كانت تتطاير من عينيه .

- لعلي أتعرف الى شخص يجعلنى أقضى وقتا طيبا !

كان المكان الثاني الذي اصطحبها اليه مختلفا عن النادي الذي غادراه للتو ، وشعرت ليلى

بفرحة كبيرة لرؤية نفسها آمنة داخل هذه
الحانة الصغيرة القديمة الطراز ، حيث الجو
مريح هادئ بعكس جو النادي الصاخب
والمثير .

وصلا الى الحانة بعد رحلة قصيرة في السيارة
، لم ينطق خلالها رونان بكلمة واحدة .

سألها باختصار عندما أصبحت داخل الحانة
:

– أتريدين شرابا ؟ .

– مياها معدنية ، من فضلك .

كان عليها أن تشرب شيئاً لتهدئ أعصابها
بعد تلك الرحلة المفزعة في الشوارع المظلمة
. لكنها رفضت أن تدع رونان يشعر

بالانزعاج الذي سببه لها .

كان رونان يقف أمام المقصف عندما شعرت
بيد تلمسها برفق .

فالتفت بحدة ، لترى امرأة شابة طويلة القامة
شعرها أسود ومفاتها بارزة ، فابتسمت لها
بتوتر قائلة :

- عفوا ، ولكن هل أنت مع السيد غيرين ؟

عندما أومأت ليلي بحيرة ، بدت ابتسامة

الفتاة أكثر ثقة :

- اسمي ((آلي غوردون)) . يدير والداي

هذا المكان .

قالت ليلي :

- يدهشني أن يريد أبوك البيع .

- آه ، انه لا يريد البيع ، ولكنه مرغم على

ذلك .

وبدا الأسي في عينيها الزرقاوين الواسعتين .
- أردت التحدث اليك عن هذا الموضوع .
ان أبي مريض . لقد اكتشفنا لتونا أنه يعاني
من ((ألزهايمر)) ، ويحتاج الى رعاية دائمة ،
ولا تستطيع أمي رعايته وادارة هذا المكان في
آن معا . ان المال ينقصنا .

كان رونان عائدا فتمتت ليلى بسرعة :

– سآرى ما بامكانى فعله

قبل أن تذهب ((آلى)) مسرعة .

ماذا ستفعل الآن ؟ كيف ستقنع رونان بأن

يشترى الحانة بثمن يفى بمتطلبات أسرة

غوردون ؟

– حسنا ، ما رأيك ؟

قطع سؤال رونان غير المتوقع عليها أفكارها

وجعلها تقول بعفوية :

– عليك أن تشتري هذا المكان .

فأجاب ساخرا :

– أهذه القناعة المفاجئة علاقة بما قالته لك
الآنسة غوردون ؟ آه ، نعم . لقد رأيتها تسرع
مبتعدة عنك ، ألا تخشين أن آخذ منها كل
شئ ثم أستنزفها حتى الجفاف ؟

كان لهب الغضب في عينيه يتلاءم مع
الابتسامة المظلمة التي أنبأها بأنه واع تماما
للارتباك الذي سببه لها سؤاله الساخر .

وضحك متجهما بصوت خافت وهو يتابع

قائلا :

- اسمعي ، سأدعك تحضرين المناقشات ،
وان رأيت أنني أخذتها ، فكوني صريحة معي
. . لم هذا الارتياح يا حبيبتى ؟ أعدك . .
بأن أشطب البنود التي لا تعجبك عن عقد
البيع .

- لكنني لا أعرف شيئا عن . .

– أنت لست غبية يا ليلي ، وتميزين بين
العدل والظلم . فكري فقط في ما تتمنيه
لديفي ، وطبقه هنا .

(فكري في ما تتمنيه لديفي)

بدا لها وكأن صدى هذه الكلمات يتردد في
أنحاء القاعة ، حاملا في طياته معان خفية .

– رونان . . ؟

لكنه تركها وتوجه الى البار حيث كانت تقف
غوردون . ولوت ليلي يديها معا في حجرها

وقد ملأها الرهبة وهي تفكر في الدور الذي
ستلعبه في مستقبل هذه الفتاة وأسرتها .
ولكن من اللحظة التي دعا فيها رونان الفتاة
الى مائدتهما ، وقدم لها شرابا قبل أن يبدأ في
تقديم عرضه ، أدركت ليلي أن ما من داع
للخوف . فلم يكن في كل ما قاله ما يمكنها
الاعتراض عليه ، على الرغم من عدم خبرتها
في المعاملات التجارية .

– حسنا ؟

سألها رونان بعد أن انتهت المفاوضات ،
وتركتهما آلى وحدهما وعلى وجهها ابتسامة
واسعة مبتهجة .

– أليس لديك ما تقولينه ؟ لم أتوقع أن
تلزمي الصمت .

– ليس لدي ما أنتقده ، انك أكثر كرما مما
كنت أتصور .

اعترفت ليلى بذلك صادقة فقال :

- هذا ما حصل عليه ديفي .

وقطب جبينه عندما نظرت اليه بارتياب :

- آه ، بحق الله ، يا ليلي ! هل اعتقدت حقا

أني قدمت لهذه الفتاة عرضا أفضل مما

قدمته لأخيك ؟ فقط لأنها أنثى رائعة الجمال

ولها قوام فينوس .

- . . . لا .

لم تشعر بالارتياح وهي تدرك أن الشعور

الذي أخرس لسانها لم يكن سببه تعليقاته عن

أخيها . بل الغيرة المرة من وصفه لفتاة
الأخرى بالرائعة الجمال والمثيرة .

.

حاولت ، بسرعة ، أن تغير الموضوع قائلة :

– أدهشتني الليلة في ذلك النادي اذ لم

أحسبك قط معجبا بموسيقى الروك .

– أنا أحب كافة أنواع الموسيقى .

– أتحب الاستماع اليها فقط أم أنك تؤلف

قطعا موسيقية أيضا ؟ هل تعزف على آلة

موسيقية أيضا ؟

– يا ليت ! لكنها مهارة لم أستطع اكتسابها .

ألقت ليلى رأسها الى الخلف وقد اتسعت

عيناها وارتسمت ابتسامة على شفيتها

الممتلئتين .

– رونان غيرين العظيم يعترف بالفشل ! انك

تدهشني فعلا .

– جيد .

وتراقصت عيناه ، وأضواء الصالة تضيء

عليهما بريقا ذهبيا .

- أعرف أن لديك تصورات خيالية عني

وأحب ان أحرك منها .

مست كلماته وترا حساسا وهو يشير الى

ملاحظة كان قد أدلى بها عن ديفي منذ

لحظات ، مدمرا بذلك الوثام الذي نعما به .

- أتقصد مسألة أنك لم تحبيني قط ؟ آه ، لا

تقلق ! فأنا لم أعد أكافح في سبيل ذلك

الوهم ، فأنت حررتني منه تماما .

فرد عليها رونان بحدة :

- وهل ادعيت يوما أنني أحببتك ؟ .

هل فعل ذلك ؟ وعادت بذكريتها الى

الأسابيع القصيرة التي سبقت زواجها . فقد

قال لها (أريد أن تكوني لي ، عليك أن

تتزوجيني !) ولكنه لم ينطق قط كلمة عن

الحب .

وعلى غرار أي فتاة ، أعمت المشاعر قلبها
فضاعت في أحلام السعادة والهناء . وسدت
حاجتها الى تلك الكلمات وهي توهم نفسها
بالاعتقاد بأنها سمعتها منه فعلا . وقالت

تعترف ببطء :

- لا ، لا ، لم تفعل .

أوماً راضياً بعبوس اذ أصبحت الدعوة

واضحة ولم يعد ثمة مجال للنقاش .

- والآن . .

لكن ليلى لم تستطع الاحتمال أكثر من ذلك
. لن تجلس مكتوفة اليدين وهي تعي مبلغ
تفاهة ما كانت تعنيه بالنسبة اليه ، واستغلاله
لها بأنانية بالغة لأجل هدفه القاسي .

.

فهبّت واقفة دافعه كرسيها الى الخلف ،
محدثة بذلك صريرا مزعجا :

– أنا متعبة ، أريد أن أذهب الى البيت .

لكن ((منزل بيلفدير)) لم يعد في نظرها بيتا

. فمنذ اصطحابها رونان اليه يوم زفافهما ،

فقد معناه . ولم يعد يمثل لها الملاذ الدافئ

وها هي تنظر اليه وكأنه من نسج يدي رونان

.

– هل تشعرين بالبرد ؟

وكان رونان قد رأى رجفة الحزن التي تملكها

.

- قليلا . . لقد برد المطر الجو .

على الرغم من ان انهمار الأمطار صحبه
صقيع ، كانت ليلى تعلم أن احساسها بالبرد

هو نفساني أكثر منه جسدى .

- سأشعل النار حتى تدفأ الغرفة بسرعه .

لم تستطع احتمال الرعشة التي سرت في

كافة أنحاء جسمها .

- لا حاجة لذلك .

- لن يستغرق ذلك طويلا . .

زاد اصراره من توتر أعصابها ، ففي كل ليلة
كانت تصعد الى غرفتها ساعة تشاء ، من
دون تعليق أو احتجاج . لكنه الآن يحاول أن
يقيها ليطول السهرة .

- قلت لا حاجة لذلك ، انني متعبة

وسأكون أكثر دفئا في السرير .

- وحدك ؟

- طبعا وحدي !

لكن جسدها الغادر أخذ يخزها مستعيدا
ذكرى الأحاسيس التي ساورتها ورونان معها .

- لماذا أنت حريصة على الصعود الى غرفة
نومك فجأة ؟

ضاقت عيناه وهو يدور بهما في أنحاء الغرفة
وكأنه يبحث عن شيء ما :

- هل عاد ديفي ؟ هل رأيت . . .

- ديفي ؟ لا !

ارتعش صوتها وهي تنطق بهذه الكلمات .
لقد كادت تنسى هذه الليلة مسألة ديفي ،
وترصد رونان له بالانتقام . وللحظات قليلة
تملكتها الرغبة في أن تعود علاقتها مع رونان
الى سابق عهدها ، خالية من التعقيدات .
وأثناء السهرة ، غالبا ما كانت ترفع عينيها
لتجد عينيه مسمرتين عليها بشكل غريب .
وكانت في نظراته المحرقة ، الحدة في المشاعر
التي لم يحاول قط أن يخفيها .

حتى عندما غضب منها بقى ذلك التيار
الكهربائى يقدح شررا بينهما ، جامعا اياهما
معا بمغناطيسية هى أقوى من أن تنكرها .
ربما حري بها أن تستغل ذلك الشعور
لمساعدة أخيها .

- رونان . . أرجوك . . بالنسبة الي ديفي .
- لا أريد أن أسمع شيئاً عن أخيك المجرم .
قال رونان ذلك وقد استشاط غضبا ولكنها
أرغمت نفسها على أن تلح عليه رغم

الشراسة في نظراته اليها ، والوعيد الذي
تخلل كلماته .

- ولكن عليك أن تصغي الي . لماذا لا
تستعيد هذا المنزل أو تدعني أبيعته حتى
أعطيك ثمنه مقابل ما يدين لك أخي به ؟

.

- فتخسرين بيتك بعد أن تخليت عن شقتك
، وأين ستعيشين عندها ؟

– سأتدبر أمري .

ركزت ليلي انتباهها على ردة فعل رونان وقد أدركت بأن اهتمامه برفاهيتها وسعادتها كان صادقا وغير متحفظ ، مما جعلها تشعر بقلق غريب .

– لا أريد أن أسمع شيئا عن الموضوع . ولا أريد مناقشته بعد اليوم ، أريد أن أنسى كل شيء عن ديفي وآثامه ، هذه الليلة . . أريد أن أتحدث عنا ، نحن الاثنين .

– سبق أن قلت لك انه ليس من شئ يجمع

بيننا .

ولكنها ادركت وهي تتكلم ، مدى كذبها .

فما قالته مجرد درع هش ضد تأثيره على

عقلها وقلبها ، ولو استطاع رونان أن يرى

مدى هشاشة درعها هذا لأزاحه جانبا بحركة

ازدراء من يده أو بالكلمات المناسبة .

– بلى . . فقط ان أنت سمحت بذلك .

أحاطتها رقة صوته كالبخور العطري الدافئ

مما جعلها تحاول مقاومة تأثيرها المغري بينما

هو يتابع :

- ونحن هنا معا . .

فقاطعته بقولها :

- انها مجرد صدفة ! فالسبب الوحيد الذى

جمعنا معا هنا

ولم تجرؤ على أن تذكر ديفي مرة أخرى حتى
لا تجازف بأن تعرض السلام الضئيل الذي
حل بينهما ، للزوال .

- فبسبب وجودك هنا يجعل ذلك مستحيلا

.

- ليس من المنطق أن ننكر .

- نحن . . ننكر . . أنا لست !

لم تستطع أن توضح بالكلمات ما كانت

تخشى أنه يعنيه .

– لقد عدت تكذابين على نفسك ، يا

عزيزتى .

لم يحرك رونان ساكنا ، ولم يتقدم خطوة نحوها

. بل ساد صمت عميق بينهما وكأنه

السكون الذي يسبق العاصفة . . وتوقعت

أن تسمع في أى لحظة هزيم الرعد وترى لمعان

البرق . وأدركت أن حياتها كلها على المحك .

.

- لا شيء يقف بيننا سوى ذلك الرجل الذي
لن نذكر اسمه ، وهو ليس هنا الآن ، فما
الذي يمنعنا من قضاء بقية الليل معا ؟
ما يمنعنا هو أنني أحبك وأنت لا تحبني .
كانت واعية تماما لضخامة بنيتها وهو يقف
بجانبها . فكل عصب فيها تنبه الى رائحة
عطره ، وقد سقط شعره الامع على جبينه
فوق عينيه المتألفتين . كان من المستحيل ألا
تتذكر البهجة التي شعرت بها عندما رقصا

معا ، وتلك السعادة التي كانت تشعر بها

كلما لمسها .

لم تقل رغبتها في هذا الرجل عن ليلة عرسها

مقال ذرة ، فيومها ، كانت لا تزال بريئة

جاهلة بكل ما له علاقة بالحب ، وكل ما

جرى بينهما من ذلك الحين ، لم يغير شيئاً .

عندما سمعت هانا عن هجر رونان لها قالت

لها ببساطة :

- لا عليك ، ثمة الكثيرون سواه .

لكنها لم تكن تريد شخصا آخر . كما أنها لم

تكن تريد الا أن يحضنها بين ذراعيه وينها

عليها قبلا ويغرقها في بحر السعادة .

(ما الذي يمنعنا من قضاء الليلة معا) .

وأخذت نفسا عميقا ، وهي تعلم أن ليس

لسؤاله هذا سوى جواب واحد :

- لا شيء .

سمعت صوتها يقول ذلك قبل أن تكتمل هذه

الفكرة في رأسها .

- لا شيء ؟

ردد رونان كلامها بنبرة مختلفة تماما . ولكنه

رغم ذلك لم يحرك ساكنا ، اذ كانت ليلى

واثقة من أنه ييادها الاحساس بالارتباك .

فحركة واحدة خاطئة وتهرب الى غرفتها

الآمنة كطائر مدعور رأى قطا جائعا .

.

ولكن كل لحظة تمكثها هنا ، تزيد من شوقها

اليه وهذا الشوق ينهشها الآن من الأعماق

. حتى أنها شعرت بالمسافة الضئيلة بينهما ،

وكأنها هوة بالغة الاتساع .

– أتعرفين ما تقولين ؟

أتعرف حقا ؟ لم تستطع أن تفكر . . كانت

كتلة من المشاعر المخضبة بالشوق ، انها

متلهفة اليه وخائفة من تملكه لها .

– أظن أنه من الأفضل أن أغادر الغرفة .

قال ذلك وهو يتوجه نحو الباب . ولكنها

هتفت ، من دون أن تعي ما تقوله :

– كلا ! .

– أتقصدين أن وجودي غير مرغوب فيه أم

أنك تريدني أن أذهب ؟

– أنا . .

شعرت بغصة في حلقها هددتها بالاختناق ،

حتى أصبحت عاجزة عن النطق بكلمة .

ولكنها كانت مضطرة الى أن تتكلم فان هو

خرج من الباب فقد تموت :

– أنا . . .

ورفعت يديها بيأس أمام وجهها بإشارة تم

عن الخوف ، والدفاع :

- ليلي . .

وتقدم رونان نحوها يمسك بيديها ويخفضهما

الى أسفل بسهولة جعلت مقاومتها له عبثا .

. ورفعت اليه وجها شاحبا منهاكا وعينين

ذهبيتين واسعتين متألقتين ، فقال بخشونة :

- أنا لا أحب هذه المشاعر أكثر مما تحبينها

أنت ولكن ليس بيدنا حيلة ، فالنيران

مشتعلة يا ليلي شئنا أم أبينا ، وتتأجج كلما

اجتمعنا معا ، ومن الجنون أن نتجاهلها أو

نحاول كببحها ، لأنها تقنات من ذاتها وتزداد

حدة أكثر مما نتصور .

- أعرف . . هذا .

.

ألم يسبق أن حاولت تجاهلها هي نفسها ،
فأخذت تزداد تجذرا في أعماقها مع كل نفس
تتنفسه ، وازداد الشوق مع كل دقيقة تمضيها
في صحبة رونان ؟ لكن تلهفها إليها يغذيه

الحب الذي تكنه له ، بينما رغبته هي مجرد

رغبة بحتة خالية من المشاعر كما اعترف

بنفسه منذ فترة .

- ولكن ماذا بإمكاننا أن نفعل ؟

- يمكننا أن نتوقف عن مقاومتها ، يا جميلتي

ليلي . أن نستسلم الى ما نشعر به ، فنطلق

له العنان حتى يدمرنا ، ثم ندعو من أعماقنا

بأن يخف ، مع الوقت ، ويتبدد .

واقترب منها ووضع ذراعه حول خصرها
يشدها اليه لتشعر بخفقات قلبه التي تدوي
بين جنبيه .

- يمكننا أن نفعل هذا . .

وضغطت شفتاه المشتعلتان على خدها
وحول ذقنها :

- هل هذا ما تريدينه ؟ .

أخذ قلبها يخفق بعنف الى حد أن وقع في
أذنيها كان أشبه بالرعد .

فراحت تطلق أصوات متقطعة :

– سأريك . . .

كان وجهه قريبا من وجهها الى حد خطر ،
لكنه ما زال ممسكا عن معانقتها متعمدا
بذلك تعذيبها ، وهاتان العينين القامتان
العميقتان تراقبانه بعنف وهي تئن محتجة .

– ليلي ، كلمة واحدة منك هي (نعم) ام (لا)
تكفي . ولكنني أريد أن أسمعها ،
اخبريني هل تريدان هذا أم . . ؟

لكن صبرها نفذ وقد خرجت مشاعرها عن السيطرة ، وشعرت أنها ستموت ان لم يعانقها الآن فقالت بصوت خافت :

- نعم .

لكنها خافت ألا يكون سمعها جيدا فكررت بلهفة :

- نعم ، نعم ، جوابي هو نعم .

لم يصعدا الى غرفة النوم بل حملها بين ذراعيه
الى الأريكة المخملية الخضراء ومددها
واستلقى بجانبها ، من دون أن يعد نفسه
عنها .

وتحولت ليلي الى كومة مرتعشة من الأعصاب
. وعيناها نصف مغمضتين ، وأنفاسها ممزقة ،
فتشبثت به بيدين عيفتين تحتضنه بشدة
وتتلهف الى معانقته وحبه .

- هذا ما تريدينه ، أيتها السيدة .

أخذ يتمم مزجرا بكل شوق جاذبا اياها نحوه .
فتاهت عن دنياها وغرفت في بحر متلاطم ،
بحر لا قرار له .

مضى وقت طويل طويل قبل أن تعود الى
واقعها . ولكن وهي تستفيق من بين هذه
الأمواج الحارة التي اجتاحت كيانها ومشاعرها
، حاولت جاهدة أن تتعلق بضباب
الأحاسيس التي غلفت أفكارها ، ولم تشأ أن
تواجه حقيقة أن البركان الذي تفجر بينهما

كان كل شئ وأن لا مشاعر أخرى تبني عليه

.

.

لم يكن ذلك يعني شيئاً ، فعاجلاً أم آجلاً
ستنتهي هذه الملحمة ولن يبقى لها منها سوى
الذكريات . لكنها ، حالياً ، لن تشغل بالها
بهذه المسألة لأنها حصلت على كل ما تريده

، وستواجه الحقائق في حينها ، والى ذلك
الوقت ، ستتظاهر وكأن شيئاً لم يكن .

.....

أخذت ليلى تتقلب في فراشها وهي تتشاءب ،
وتتمطى باستمتاع ، ثم تسمرت مكانها من
دون حراك .

رأت بجانبها مساحة خالية ، مساحة كان
جسم رونان الدافئ القوي يشغلها ، ولكنها
الآن خالية وباردة .

واذ لاحظت أن الشمس تتوهج من خلال

الستائر نظرت الى الساعة بدعر .

- العاشرة والنصف ! ولكن هذا غير ممكن .

كانت تحقق في ساعتها ، مذهولة عندما

انفتح الباب بعنف ودخل رونان الغرفة يحمل

صينية بين يديه .

- صباح الخير ، يا صاحبة عيد الميلاد ، هو

ذا الافطار .

- الافطار . . لكنني لا أستطيع . . أنا . .

- عودي الى الفراش !

وضع الصينية على منضدة الزينة ثم أمسك
بها بحزم عندما ألقى عنها اللحاف وهمت
بالنهوض من فراشها .

- رونان ، لا أستطيع . انظر الى الساعة .
كان علي أن أذهب الى العمل منذ ساعات
علي أن . . .

وسكتت مرة أخرى عندما هز رأسه نفيا .
- ليس عليك أن تفعلي شيئاً سوى العودى
الى فراشك وامتناع نفسك .

وعندما حاولت أن تتلوى لتخلص نفسها من
تلك اليد الحازمة على كتفها أضاف قائلاً :
- اثبتي مكانك ، يا امرأة ! لا أحد ينتظرك .
فلقد اتصلت بهم وأخبرتهم بأنك لن تذهبي
الى العمل اليوم .

- ماذا ؟

وتملكها الذهول وعادت تستند الى الوسائد
وهي تحديق اليه بارتباك واضح :

- ولكن لماذا ؟ .

وتنبهت فجأة الى ما قاله رونان حين دخل

الغرفة فتأكدت من أن ما سمعته صحيح .

- كل شخص يأخذ يوم عطلة في عيد ميلاده

. وفضلا عن ذلك ، وضعت برنامجا لهذا

اليوم ، لا يشمل مجموعة من بائعي الزهور .

- أووووه !

أظهرت لي بذلك اشمئزا ضاحكا وعادات

لتسأله وذهنها مشوش :

- كيف علمت أنه عيد ميلادي ؟

وضع الصينية على حجرها بقوة دلت على

أن مزاجه قد تغير الى الأسوأ ،

وقال بصوت متوتر :

- كنت حاضرا حين قدمنا طلبا للحصول

على رخصة الزواج ، وكان علينا ، حينذاك ،

أن نذكر تاريخ ميلادنا .

.

هذا صحيح . وتنهدت ليلي وهي تمد يدها
لتثبت فنجان القهوة الذي كاد ينقلب عندما
وضع الصينية بخشونة . كان عليها أن تتذكر
ذلك لكن ادراكها بأن زواجها لم يكن مهما
اليه جعلها لا تتوقع أن يتذكر أي جزء منه ،
خاصة التفاصيل الصغيرة مثل تاريخ عيد
ميلادها .

قال لها بلوم وهو يلقي اليها بمجموعة من
البطاقات الملونة المهنته بعيدها :

– انها لك . . لا شئ من ديفي ، لقد

تفحصتها .

راحت ليلى تجمعها وهي تفكر بتعاسة في أنه
لو وجد بطاقة من ديفي لتفحص دمغة البريد
واتصل بمخبره الخاص ليعلمه عن مكان ديفي

.

وشعرت ليلى بالمراره وهي تدرك أنه ، حتى

في هذا اليوم ، لم ينس ثاره من أخيها .

فقال له :

– لم نكن نعر أعياد ميلانا اهتماما .

والحقيقة هي أن والديها لم يعيشا ليحضرا

عيد ميلاد ديفي الحادي عشر .

وبعد وفاتهما لم تسمح لها أوضاعها المادية

بشراء الهدايا أو الاحتفال بالمناسبات .

.

– لقد اعتادت روزالى أن تقول : ((على كل

شخص أن يشعر بأهميته وان ليوم واحد في

السنة)) .

كانت ليلى تم بفتح احدى البطاقات ، فلم
تلاحظ صمته المطبق الى أن طالت مدته .
واذ شعرت بانزعاج للتوتر المفاجئ الذي ساد
حولها ، رفعت راسها وهي تقطب جبينها
متسائلة :

- روزالى ؟ .

سألته قلقة للتغير الذي أصابه وهي ترى
الدفء في عينيه يتحول الى كآبة .

- فتاة كنت . . أعرفها .

وكان صوته يوازي عينيه كآبة .

– أهي فتاة مميزة بالنسبة اليك ؟

بدا جليا أنه كان يحبها ، وذلك واضح .
فالطريقة التي ذكر فيها اسمها أزالَت شكوكها

وقال هو باختصار :

– مميزة جدا . . .

كان واضحا أنه لا يريد أن يسهب في جوابه
، ولم تجرؤ ليلي على الضغط عليه . لعل
روزالي هذه كانت حبيبة سابقة ، وهذا يفسر
عدم رغبته بالحديث عنها الا أن مجرد الظن

في أنه قد أحب تلك المرأة أكثر مما أحبها
هي ، جعل عينيها تغروران بدموع محرقة
حاولت أن تغالبها بشدة .

- تناولى فطورك قبل أن يبرد .

جاهدت ليلي لتدعن لطلبه ، لكنها غصت
بالطعام فلم تستطع ابتلاعه .

ما الذى حدث بين رونان وروزالى تلك ؟
أكانت هي من أنهى علاقتهما ؟

اذ يبدو أنه يكن لها مشاعر قوية . . أم . .

صعقتها هذه الفكرة المزعجة فلم تستطع
التنفس . أترى روزالي هذه ، كانت هي
ضحية كراهية رونان السوداء لديفي ؟ أيعقل
أنه تخلى عن الفتاة الأخرى ليتزوجها هي ،
ليلي ؟ أيعقل أنه عند انتهاء زواجهما المهزلة
هذا سيحرر نفسه منها ليعود الى حبيبته

السابقة ؟

وقطع صوت رونان عليها أفكارها .

– انك تحديقين فى تلك البطاقة منذ أكثر من

دقيقة .

فقلت وهي مجفلة :

- كنت . . أقرأ الشعر .

.

قلت ذلك وهي تدرك بأنه لم يقتنع بتفسيرها
من خلال النظرة الساخرة التي ألقاها على
أبيات الشعر الأربعة التافهة تلك . ولكي
تصرف ذهنها عنه ، تناولت البطاقة الثانية .

كانت هذه من رونان نفسه وقد ظهر عليها
خطه المعبر عن قوة ثقته بنفسه . فأخذ قلبها
يخفق بعنف وهي تفتح المغلف .

مضت ثانيتان غامت أثناءهما عيناها فلم
تستطع التركيز على الصورة التي على البطاقة
، ولكنها استطاعت أن تميز نسخة عن لوحة
سبق أن قالت له أنها تحبها .

– انها رائعة . . شكرا .

ماذا كنت تنتظرين ، يا غبية ؟ أن يشتري لك

بطاقة شاعرية مزخرفة تقول :

- الى زوجتى الحبيبة مع كل حي ؟ .

فبالرغم من عيوب رونان ، الا أنه ليس

منافقا ليكذب بهذا الشكل .

- والآن ، ماذا تحبين أن تفعلي اليوم ؟

- ظننت أن لديك برنامجا .

- وضعت برنامجا للسهرة . خطر لي أنك

تريدين أن تختاري بنفسك كيف ستمضين

نهارك ؟

- هل يمكننا الخروج الى البراري ؟

- أينما شئت .

ونزل عن السرير ، آخذا معه البطاقات

المطروحة .

- ما رأيك لو تفكرين في الأمر بينما ترتدين

ملابسك ثم تخبريني بما استقر عليه رأيك ؟

فرغباتك اليوم أوامر .

ليتها تستطيع فقط أن تصدق هذا ! ليتها

تستطيع أن تخبر رونان بما يدور في رأسها

وقلبها ! ولكنه ، لو لم يذكر اسم ((روزالى))

لأفضت له بمكنونات قلبها .

فمجرد التفكير في ردة فعله ان أخبرته أن ما
تتمناه أكثر من أي شيء ، هو أن يصدق عليها
حنانه ، أن يستلقي بجانبها ويحتضنها بشدة ،
ويغرقها بحبه الى حد ينسيها روزالي تلك . .
أو ديفي ، أو أي شي آخر .

.

اغتسلت وارتدت ثوبا أخضرا منقوشا
بالأزهار وفتحت باب غرفتها لتنزل الى

الطابق السفلي واذا بجرس التليفون يرن
فنزلت السلم بسرعة واختطفت السماعة في
الوقت الذي ظهر فيه رونان عند عتبة الباب

•
- آلو ؟

وخفق قلبها عندما لفظ صوت مألوف للغاية

اسمها .

- آه ، ديف . . .

فعادت تصحح قولها بحذر ورونان يراقبها

بجدة :

- ديزي ، ما أجمل أن أسمع صوتك ! .

فرد عليها أخوها بحيرة واضحة :

- ديزي ؟ ليلي ، ما الذي . . ؟ .

- انها ((ديزي مارتن)) يا رونان .

وتعمدت نطق الاسم بوضوح :

- انها صديقة من أيام المدرسة .

فقال ديفي بصوت يائس مزق قلبها :

- ألا يزال عندك ؟ أهذا ما تحاولين قوله ؟ .

فأجابت متصنعة المرح :

– نعم . لا بد أن ذلك كان في السنة الماضية

.. كلا ! .

صرخت برعب وقد فوجئت برونان يختطف

السماعة من يدها . لا بد أن نظراتها أو

لهجتها هي التي كشفت أمرها . أما رومان

فأخذ يحدق في السماعة وكأنه يعتقد أنه

ديفي نفسه .

– لا ، يا رومان !

تمنى رومان لو كان بوسعه أن يلوي عنق ديفي

، فهذا الوغد يعلم أن اليوم هو عيد ميلاد

ليلي ، وكان حري به أن يراعي شعورها ولو

مرة واحدة .

لم يخف عليه شحوبها المفاجئ حين سمعت

صوته ، ودموعها التي تالأت في عينيها

المتألفتين ، فكانت خير برهان على الكدر

الذي شعرت به . لا تستحق ليلي أخا مثله ،

كما أنه لا يستحق أختا مثلها .

أخذ رونان يصر على أسنانه ، محاولاً أن
يكبح غضبه البالغ ، فمنظر ليلي لوى قلبه
بعنف ، وذكره بما شعر به يوماً تجاه ديفي
كورنويل . فقد أعجب بهذا الذي لا يستحق
أن يذكر اسمه ، وشعر بالعطف نحوه وصمم
على أن يزيل من أمامه كل العوائق ، وإذا
بكل شيء يترد عليه شؤماً .

ولكن هل من الممكن أن تجد تفسيراً لما
حدث ؟ لو أن ذلك الأحق يأتي إلى البيت ،

لتوصلا الى تسوية بشأن هذا الوضع الجهنمي

ولانتهى الأمر . كان عليه أن يخبره . . .

ولكن عندما نظر الى ليلي أزال تعابير

وجهاها كل فكرة عقلانية :

- كورنويل !

أرسل صوته رجفة في جسم ليلي ، وتصورت

شعور ديفي وهو يسمعه :

- الى أي جهنم لعينة ذهب . . !

- وماذا توقعت غير ذلك ؟

كان صوت ليلى متوترا وساقاها ترتجفان ،
فمدت يدها الى حاجز السلم تستند اليه .

- ماذا حدث يا رونان ؟

تابعت كلامها وهي تراه يضع السماعه بعنف
وقد أظلم وجهه :

- هل أفلتت فريستك منك مرة أخرى ؟ .

وتنبهت الى النظرة الشرسة التي بدت في
عينيه وهو يلتفت اليها ، وكأنه أشبه بنمر
جائع تملكه الاحباط بعد افلات فريسته منه

- هل كنت تأمل أن تشغله بالحدِيث حتى
يصل اليه المخبر السري الذي استأجرته
لاقتفاء أثره ؟ أترك وضعت آلة للتصنت
على هاتفي أم أنهم يسجلون لك كل مخابراتي
؟

فرد عليها بحدة :

- لا تكوني غبية ، أنا لا أفعل شيئاً كهذا .
- حقا ؟ حسنا ، انني لا أستخف بقدراتك ،
فحين يتعلق الأمر بديفي ، تأكل الكراهية
فلا تعود تفكر بشكل مستقيم . ولكن يقال

ان الانتقام يرتد عليك فتصبح نكدا فظا

على خلاف ما تتوقع .

– – اسأليني أنا عن ذلك .

قال ذلك بصوت خافت غامض لم تستطع

تفسيره .

وأخذ يتساءل متأملا . ما الذي حدث لقوة

قناعته التي ساقته منذ البداية ؟ يبدو أنه

أضاع ذلك في مكان ما أثناء الطريق ، وحل

محلّه شعور بأن الأمور لم تكن بالوضوح الذي

كان يظنه .

- أراك تنظرين الي وكأنني شيطان مريع ،
خاصة في ما يتعلق بأخيك الغالي . هل هذا
يعني أنك ألغيت رحلة هذا اليوم ؟

- هذا صحيح .

ولكن ما ان سمعت ليلي نفسها تتلفظ بهذه
الكلمات ، حتى اضطرت لمراجعة نفسها .
هل هو حقا من النذالة والشر كما جعلها
ديفي تعتقد ؟ وبالرغم عنها ، عادت بالذاكرة
الى تلك الليلة في الحانة ، عندما أبدت رأيها
في الشروط التي قدمها الي آلي غوردون ،

فقال : (انها شبيهة بما حصل عليه ديفي) .

لكنها حينذاك ، لم تهتم بما قاله اذ ان عنف
علاقتها محي من ذهنها كل الأفكار الأخرى
. وها هي الآن تجد نفسها مرغمة على أن

تفكر فيها بارتباك ، فقالت له ببطء :

- لم تشتر المكان الآخر .

قطب رونان جبينه بحيرة لتغييرها الموضوع
فجأة ، لكنه عاد بعد ثانيتين فأدرك ما الذي
تحدث عنه .

– النادي ؟ ليس فيه شئ غير عادى .

مع مرور الوقت أصبحت ماهرة في قراءة ملاحظه ، فأدركت أن تعليقاته العفوية تخفي

أشياء لم يقلها ، ولا يريد أن يقولها .

– وهل كان في ديفي شئ غير عادى ؟

بدت عينا رونان غائمة عاصفة ، تكشف

أكثر مما يريد ، فأجابها برزانة :

– نعم ، كان في ديفي شئ غير عادى .

– أخبرتي . .

فقال بغضب :

– ليس الآن ! ربما تفسدين عيد ميلادك
بالحديث عن أخيك . ولكنني ، بصراحة ،
سئمت من سماع اسمه . كان من المفروض أن
يكون هذا النهار مميزا بالنسبة اليك .
ولكنك أوضحت أنك لا تريدين الخروج ،
وتفضلين الموت على الذهاب الى أي مكان
معي . ولكن أألن تقبلي هذا أيضا ؟ .

ولم تدرك ليلى الا بعدما رفع يده اليسرى أنه
كان يحمل علبة صغيرة مربعة ملفوفة بورقة
فضية رائعة الجمال .

– ما هذا ؟

لم تقوى على كبح فضولها .

– هدية عيد ميلاد .

قال ذلك بشبه ابتسامة جانبية .

– لي أنا ؟

•
- طبعاً لك . فعادة في أعياد الميلاد يقوم

الأقارب والأصدقاء ، والأزواج أحياناً ،

بتقديم هدايا لصاحب العيد .

ومد يده بالعلبة يغيرها بها ، مداعباً ، وعيناه

القائمتان مسمرتان على وجهها :

- ولكن اذا كنت تظنين أن قبورك لها يشبه

بيحك لروحك . . .

واذ بها تصعق ويتملكها الذعر عندما ألقى
فجأة بالعبء في صندوق القمامة فسقطت
محدثة صوتا مكتوما يندر بالنحس ، وهتفت
محتجة بشكل آلى :

- رونان ! هذا غير معقول ! .

لكنه هز كتفيه بلا مبالاة قائلاً :

- اشتريته لك ، فان لم تقبله ، فهو . . .

- آه ، بل أقبله !

خرجت هذه الكلمات من فمها قبل أن
تفكر في عواقبها . فقد كانت ممتنة لأنه خرج
واشترى لها شيئاً .

– كنت أعلم أن ما من امرأة تقاوم سحر
الهدايا .

.

تجاهلت السخرية اللاذعة في صوته هذا وهي
تستعيد العلبة من صندوق القمامة . لكنها

رفعت بصرها لتلمح الابتسامة الهازلة التي لم
يستطع كتمها وهو ينظر اليها .

وخطر في بالها فجأة أنها كانت هدفا لخطة
بارعة صرفت ذهنها بعناية عن القضية التي
بين يديها ، وبهذا لا يكون عليه أن يجيب عن
أسئلة غريبة .

ولكنها قررت حفاظا على السلام بينهما ،
أن تترك الأمور على حالها .
عليهما أن يستمتعا بهذا اليوم رغم كل شئ .

فنبذت من ذهنها كل ما يقلقها بينما كانت

تمزق الورقة الملفوفة بها العلبة .

– آه ، يا رونان !

كانت تتوقع زجاجة عطر ، أو حلية ثمينة ،

ولكنها ذهلت حين وجدت كتابا قديما مغلفا

بالجلد يتعلق بهندسة الحدائق ، ويتضمن

رسوما يدوية رائعة لكل أنواع الأزهار . كانت

هذه الهدية الذي تتمنى شراءه لنفسها لو كان

بامكانها دفع ثمنها .

– انه رائع الجمال .

وتهدج صوتها . لا بد أنه أمضى وقتا طويلا في

البحث عن الكتاب ، فجاء اختياره له بالغ

العناية الى حد لم تتوقعه قط .

– لا أدري كيف أشكرك .

– سأفكر في طريقة لتشكريني بها .

وتبخر شئ من سرور ليلي ، فنظرت اليه

بحذر ، والتقت عيناها بعينه القامتين بشئ

من الريبة ، فضحك قائلا :

- آه ، يا ليلي ! كم أنت شفافة . هل هذا

هو الشيء الوحيد الذي تظنين أني أريده

منك ؟ ثمة أشياء أخرى في الحياة .

فسألته بخشونة :

- مثل ماذا ؟ .

صحيح أن في الحياة أشياء كثيرة ، ولكن بدا

أن كل ما يريده منها أن تطارحه الغرام .

- ما رأيك لو نعلن الهدنة اليوم وننسى كل

شيء عن أخيك ، ونستعيد ذكرى الأيام

الأولى لتعارفنا .

لكنه يومها ، تعمد البحث عنها ، بعد أن
رسم خطة الانتقام بكل تفاصيلها ، بينما هي
كانت بريئة ساذجة وفريسة سهلة لاغرائة .
رباه كم هي بحاجة الى تلك الهدنة ، وان ليوم
واحد فقط ، كما قال . فقضاء أربع
وعشرين ساعة معه من دون خصام هي أجمل
هدية قد تتلقاها في عيد ميلادها .

وعندما لم تجب ، اندفع يقول :

- ليلي ؟ .

حشها نبرة العنف التي نطق بها اسمها ، على

أن تسرع بالقول :

- لا بأس ، اني موافقة .

بعد أن أعلن رونان الهدنة ، بذل جهده

لارضائها وتسليتها . وفي المساء بعد أن

غيرت ملابسها وارتدت ثوبا مخمليا برونزي

اللون يعكس لون عينيها ، اصطحبها لتناول

العشاء في الخارج .

ولكن الشرخ الصغير الوحيد الذي عكر
صفو استمتاعها ، ذكرها مكرهة بأن الأمور
ليست بالكمال الذي تبدو عليه . فالمطعم
الذي اختاره رونان لم يكن المفضل لديهما في
المنطقة . اذ أنه لم يستطع أن يأخذها الى
ذلك المكان حيث عرض عليها الزواج .
وعند نهاية الأمسية ، التفتت ليلي اليه تقول
بصدق :

– لم أظ منذ سنوات بعيد ميلاد رائع كهذا
يا رونان ، أشكرك كثيرا ، فقد استمتعت حقا
بكل شيء . . .

لكنه لم يصغ اليها اذ كان انتباهه متوجها الى
شيء غير مرئي وراء ظهرها . وقد ارتسمت
على شفثيه ابتسامة غريبة خفية ، وأخذت
العينان الفولاذيتان تلتمعان .

– رونان ؟ ماذا . . . ؟

أثار صوت خافت فضولها فالتفت لترى

قالب الحلوى في يدي النادل ، تحف به

الشموع المشتعلة ، فتجمدت رعبا .

وبهر عينيها اللهب الذهبي المتراقص اذ كان

قريبا منها الى حد أنها شعرت بحرارته على

جلدها ، وسمعت الفحيح الخافت وهسيس

النيران ، وشممت رائحة الدخان المتصاعد .

- لا !

وخنقها الذعر ، وأخذت دقائق قلبها تتسارع
وتصاعدت الدماء الى وجهها وأخذ رأسها
يدور وشعرت بالغثيان .

- عيد ميلاد سعيد ، يا ليلي .

في خضم تلك الفوضى ، سمعت صوت رونان
وكأنه آت من بعيد .

ولكنها عجزت عن الحراك أو الاجابة أو
حتى الافصاح عن خوفها .

- ليلي ؟

كانت عيناها متسعيتين جامدتين برعب بالغ ،
وتصلبت أعضاؤها بفعل الخوف والرفض ،
ورفعت يدها تغطي فمها الذي كان مفتوحا
بصرخة صامتة . فقد تحول شعاع الشموع
الرقيق في رأسها الى نيران هائجة ، تحرق كل
ما هو عزيز وغال على قلبها .

- لا !

أطلقت صرخة عالية غريبة ، بصوتها الذي
وتره الذعر ، وذلك بعد ثوان من الاضطراب

.

- لا ، لا ، آه ، يا الهي . . لا ! أبعد من

هنا .

اخترق صوت هادئ دوامة الرعب في رأسها

وقفز رونان واقفا وهو يدفع النادل جانبا

بيده القوية :

- خذ هذا الشيء اللعين من هنا . . الآن .

ووقف بينها وبين اللهب المخيف قائمة فارعة

قوية ، وصدر رحيب .

اختطفتها ذراعان قويتان تواسيائها وترفعانها

وتضمائها الى حرارة جسده ، فوضعت رأسها

على صدره حيث كانت خفقات قلبه

المتسارعة .

- ليلى ، حبيبي ، لا بأس عليك . أنت

آمنة . آمنة تماما .

آمنة

، أخذ صدى هذه الكلمة يتردد داخل رأس ليلى في محاكاة مزعجة لصرختها المذعورة .
ولكن حتى خلال الرعب ، والذعر وألم
الذكريات التي أيقظها منظر اللهب ، برز
احساس آخر . . احساس دمرها كليا .

شعرت بموجة من السرور والبهجة في اللحظة
التي أخذها فيها رونان بين ذراعيه ، احساس
رائع بالأمان هو أشبه بالعودة الى الديار بعد
رحلة طويلة متعبة .

لكن الحقيقة المرة هي أن احساسها بالأمان
بني على أساس زائف ، فحركة واحدة خاطئة
وتنهار معها علاقتها الشائخة الى الحضيض ،
لأن رونان لا يكن لها الحب بل مجرد رغبة
حسية كما قال بوضوح تام .

كان قادرا تماما على استغلالها لمتعته الخاصة
ليرحل بعدها بهدوء من دون أن يؤنبه ضميره

. فقد سبق وفعّلها مرة ، وهي تعلم أنه

مستعد تماما لمعاودة الكرة .

حري بها اذن أن تواجه الخطر الذي هو أكبر

من ذلك الذي يحدثه اللهب ، فخطر

المشاعر التي تتعرض له أسوأ بكثير من أي

خطر جسدي ، ولهذا لن يمكنها أن تكون

آمنة مرة أخرى أبدا بعد اليوم .



– أتشعرين بأنك مستعدة للحديث عن ذلك

؟

كان قد مضى حوالى الساعة ونصف الساعة

منذ قذف بها مرأى الشموع على قالب

حلوى عيد ميلادها الى حفرة الخوف

السوداء التي لم تستطع أن تصعد منها الا

بعد جهد بالغ . وبقيت أثناء ذلك متشبثة

برونان الذى كان صخرة من القوة .

فقد أخرجها من المطعم بعد أن ألقى برزمة
من الأوراق المالية على المائدة ثمنا لوجبتها
التي لم يكملها ، واصطحبها الى سيارته
لينطلق بعدها متوجها الى البيت من دون أن
ينبس بنت شفة الى أن استلقت على
الأريكة في غرفة الجلوس وسكب لها كوبا من
عصير الليمون .

- اشربي هذا .

- لا أحب عصير الليمون .

فنظر اليها ساخطا :

– اشربيه ! .

.

فانصاعت لأوامره وراحت ترتشف العصير
وهي تنظر اليه يسكب لنفسه كوبا من
العصير ، ثم تهالك على كرسي أمامها ، مادا
ساقيه الطويلتين أمامه . ولكن بعد أن
ارتشف جرعة واحدة من كوبه وضعه جانبا
واستقام في جلسته ، مشبكا يديه معا ومريحا

ذقنه عليهما . وأخذ ينظر اليها متأملا بحدة

وسألها :

- اتريدين التحدث عن الموضوع ؟ .

- ماذا تريد أن تعرف ؟

- كل شئ . لماذا تصرفت بتلك الطريقة

وكأن العالم انتهى فقط بسبب . .

أخفت الحدة في صوته شعوره الحالي . ما كان

ليستطيع أبدا أن يصف ما أحس به عند

رؤيتها تنهار أمامه ، وقد غمر الرعب والحزن

عينها . لقد أراد أن يأخذها بين ذراعيه دون

أن يتركها أبدا وأن يعدها بأنه سيجعلها آمنة
من الآن والى الأبد .

لكن هذا النوع من الوعود لا يصدر الا عن
شخص يحبها وتبادلته هي الحب . وفي تلك
اللحظة بالذات ، لم يكن يعرف ما يشعر به .

- أبسبب تلك الشموع ؟

وضعت ليلى كوبها بعنف على المنضدة

ودهشت اذ أنه لم يتحول أشلاء .

- نعم ، لأن تلك الشموع ذكرتني بأسوأ يوم

في حياتي ، اليوم الذي ذهبت فيه حياتي

بأكملها طعمة للنار . وفقدت كل ما كنت
أحبه . اليوم الذي مات فيه والداي حرقا في
بيتهما !

لم يتوقع ما قالته لذا بدت الصدمة عليه وهو
يلقي رأسه الى الخلف بينما عيناها العاصفتان
تحملقان فيه وكأنها صفعته على وجهه .

– ماذا حدث ؟ هل تشعرين بأنك مستعدة

للحديث عن ذلك ؟

أنبأها تكراره الواضح لسؤاله السابق بمثل

هذه اللفظة ، بطبيعة شعوره . فرؤية رونان

المتعجرف الناجح الواثق من نفسه ضائعا لا

يجد ما يقوله ، حثتها على استجماع

شجاعته .

جلست منتصبه وهي تسوي خصلات

شعرها الأشقر المتشابكة ، باحثة عن

الكلمات المناسبة .

– كان ذلك ليلة رأس السنة . وكانت الزينة

موزعة في كافة أنحاء الصلاة ، لأننا لا ننزلها

الا عندما تحين الساعة الثانية عشرة ليلا . .

ربما لو كنا . .

وتلاشى صوتها وهي تجاهد في استجماع

ذكرياتها . و انتظر رونان صامتا ريثما تستعيد

الكلام .

– كان لدينا في غرفة الجلوس ، مدفأة قديمة

الطراز يعلوها رف خشبي .

وكانت والدي تحب أن تزينه بالشموع

والأجسام الصغيرة وتنثر بينها القطن ، حتى
يخال للناظر اليه بأنه أمام مشهد ثلجي . هل

تعرف ما أعني ؟

ورفعت بصرها الى رونان لترى ان كان قد

فهم قصدها ، واذا بها تتسمر مكانها ازاء

الوهج العنيف في عينيه المتفحصتين

الساكنتين . كان تركيز مشاعره من القوة

بحيث مضت ثانيتان قبل أن يومئ برأسه مجيبا

– كان ديفي صغير السن ، ومفتونا بالشموع

، ويحاول دوما أن يشعلها بنفسه ، اما

بالكبريت ، واما باشعال ورقة من المدفأة . .

.

.

أخذت الذكريات السوداء تخفق في ذهنها

كأجنحة قوية ، وهي تجاهد في ابتلاع غصة

في حلقها . واذا لاحظ رونان كربها ، فضل

الانتظار بصمت الى أن تستعيد سيطرتها على
نفسها وتتابع كلامها .

- ليلة رأس السنة ، سهرنا جميعا لنستقبل
السنة الجديدة ، وبعد أن أرهقنا السهر
خلدنا الى الفراش . ومع أن أبي كان يحرص
دوما على وضع السياج أمام المدفأة قبل ان
يصعد للنوم ، الا أنه في تلك الليلة ، تطاير
بعض الشرر الى الستائر ، أو سقطت بعض
الزينة ، لم يستطع أن يعرف . .

وتوقفت عن الكلام وهزت رأسها بيأس وهي

ترفع يدها لتمسح دموعها .

- واحترق المنزل بأجمعه . استيقظت على

أبي وهو يخبط على باب غرفة النوم صارخا

لي بأن أنهض من فراشي ، وأثناء ذلك كانت

غرفة الجلوس قد اشتعلت . .

وأظلمت عيناها وهي تتذكر ذلك الاحساس

.

- أخرجنا أبي أنا وديفي من نافذة غرفة النوم

، ولكن أمي بقيت لتبحث عن شيء ، فعاد

ليحضرها ولم أرهما بعد ذلك . . . كان
الدمار هائلا . علمت بعد ذلك أن السلام
انهارت وعلق أبي وأمي في الطابق الأعلى .
تحرك رونان فجأة فأخذ كوبه وارتشف ما
تبقى فيه جرعة واحدة ، اذ لم يجد أمامه خيارا
آخر حتى يمنع نفسه من احتضانها ، لأنها ما
كانت لترحب بمثل هذا التصرف منه خاصة
. فلديها ما يكفيها لمواجهته ولا ينقصها

المزيد من الضغوطات .

سألها بصوت أبح :

– كم كان عمرك حينذاك ؟ .

– سبعة عشر .

– وديفي ؟

– احدى عشر سنة ، وصادف عيد ميلاده

بعد دفن والدينا بيوم .

.

كانت الكلمات وحدها صعبة بما يكفي .
لكن ما زاد الطيب بلة هو وقوف رونان على
الحياض ، حتى أنه لم يتحرك من مجلسه
لمواسماتها أو احتضانها والتخفيف عنها .
وكم كانت تتوق ليأخذها اليه ويحيطها
بذراعيه القويتين ويهمس في أذنها كلمات
تواسيها .

ولكن الحقيقة القاسية صفعتها بقوة مضيئة
جرحا آخر الى جراح قلبها .

فرونان لا يهتم لأمرها وقلما يكثر حزنها .
صحيح أنهما خلال الأيام الماضية ، كانا
يقطنان معا تحت سقف واحد ويتطارحان
الغرام الا أن الأمر كان يقتصر على ذلك
فحسب .

شعرت ليلى ، فجأة ، بالانهاك ، فارتمت على
الوسائد خلفها .

– وماذا حدث لكما ؟

وضعونا في نزل حيث أمنا لنا المنامة والفطور
. ولكن كره ديفي ذلك ، ولم يستطع أن

يتكيف على العيش مع أناس كثيرين ، خاصة
وأن بعض الغلمان الأكبر منه سنا كانوا
يحاولون اخافته .

- هل هذا سبب مبالغتك في حمايته ؟

بدا في عينيها لمحة من التمرد وهي ترد عليه
بحدة :

- أنا لا أبالغ في حمايته ! فديفي يصغرنى
بكثير وشعرت بالمسؤولية نحوه ! كان خائفا

ضائعا ويفتقد أبونا كثيرا ، وخلال وقت
قصير ، وجدت لنفسي عملا واستأجرت
شقة سكنت فيها مع ديفي .

– ومن كان يربحها ؟

كان هذا آخر سؤال توقعته ، نظرت الى
عيني رونان بحدة . فدهشت وهي ترى مبلغ
شحوبه وانهاكه . فقد بدا وكأنه فقد كل لون

– كنت الأكبر سنا . والأهم أنه لم يكن علي
أن أعيش مع ذلك الرعب الذي كان يملك
أخي .

ضاقت عيناه بحدة ، واخترقتها نظراته بكل
قوة أشعة الليزر :

– أي رعب ؟ .

.

- ظن نفسه مسؤولاً عن موت والدينا . فقد اعترف لي بأنه لم يستطع أن ينام في تلك الليلة فنزل الى الطابق الأسفل ولم يستطع أن يقاوم رغبته في اشعال الشموع مع أنه كان ممنوعاً من ذلك وقبل أن يعود الى فراشه نفخ عليها وأطفأها . لكنه لم يكن واثقاً تماماً من ذلك .

لأول مرة في حياتها تكشف عن ذلك الرعب الذي كان يعاني منه أخوها طوال السنوات الماضية . كان هذا هو الظل الذي يرافق

ديفي يوميا ، ويسبب له الأحلام السوداء

التي تدمر سكينه نفسه في الليل .

- مسكين ديفي .

ودهش رونان وهو يرى نفسه يشعر بالأسف

لأجله :

- هل هذا ما يسبب له تلك الكوابيس ؟ .

أذهلها تعاطفه هذا ، ولم تستطع سوى أن

تومئ ايجابا وقد أغرورقت عيناها بالدموع .

ثم عقدت ذراعيها على صدرها بضعف وكأنها

تزود نفسها بما تحتاجه من مواساة .

– انه . . انه يحلم بالنار .

وفرت دمعة من جانب عينها منعته العاسة

والانهاك من أن تمسحها .

– وهذا ما يصيبني أنا أيضا ، عندما تهزمني

الظروف ، تتابني الكوابيس . .

.

– أواه . . يا ليلي !

تحرك أخيرا رونان وأسرع يأخذها بين ذراعيه
ويشدها الى صدره الدافئ القوي ، ومزقت
مبادرته هذه آخر خيط في سيطرتها على
نفسها فانهارت عليه ، ويداها تتشبثان
بقميصه وهي تشهق بالبكاء .

احتضنها ببساطة وشعرت بقوة ذراعيه حولها
، وسمعت صوته يهمس لها مواسيا ، مخففا
عنها حتى مرت العاصفة واستعادت هي
بعض الهدوء وتحولت شهقاتها الى لهات غير
متزن . عندها تلوت بين ذراعيه ، رافعة

وجهها اليه بحركة غريزية وكأنها طفلة مجروحة

تلتمس العزاء .

لم تتوقع منه هذا التردد ، لكنه تسمر مكانه

ثانية أو اثنتين ، قبل أن يقبلها كما تحب ،

ماسحا بملامساته الخفيفة آثار دموعها .

أثارت لمساته في قلبها شوقا عميقا ، رغم

ادراكها أن المواساة التي يقدمها لها كانت

ضعيفة الأساس .

فما أظهره لها لم يكن اهتماما عميقا لرجل

يجبها ومستعد للقيام بأي شئ ليخفف عنها

آلامها بل مجرد مبادرة من رجل لا يمكنه أن
يجلس متفرجا على دموعها من دون أن يفعل
شيئا .

لكنها ستكتفي بهذا القدر من العطاء ، فهي
بحاجة ماسة الى التعزية والاحتضان . وستدع
حرارة المشاعر التي يثيرها فيها بسهولة تبعد
عن ذهنها أفكارها التعسة الأخرى . فبين
ذراعي رونان لا تفكر سوى بالشوق الذي
يلتهب في داخلها اليه ، وجل ما عليها أن

تفعله الآن هو أن تستمتع بهذه البهجة

لتنسى كل شيء آخر .

.

ولكنها صعقت عندما أخذ رونان يشتم

بعنف مبعدا نفسه عنها ، بقوة جعلته يقفز

الى منتصف الغرفة ثم يقف ناظرا من النافذة

الى ظلام الليل ويداه في جيبه . وأخيرا تنهد

ورفع يده ليعبد خصلات شعره عن وجهه

وقال بصوت غير ثابت :

- علينا أن نتحدث ، يا ليلي .

يتحدثان . . هذا آخر شيء تريده . ولكنها

عندما فتحت فمها لتحتج ، تحول ذلك

الاحتجاج الى ثناؤب واسع مؤلم ، اذ شعرت

بعد أن رفع رونان ذراعيه من حولها بالارهاق

، فعادت تستلقي بضعف على ذراع الأريكة

، غير قادرة على كبح ثناؤب آخر . فتابع

رونان كلامه بهدوء :

- ولكن ليس هذه الليلة ، فأنت متعبة

ويجب أن تخلدي الى النوم .

معك ؟

أرادت ليلي أن تسأله ذلك ، ولكنها لم تجرؤ

، اذ ظهر شئ جديد مقلق في طباع رونان ،

شئ وضع مسافة كبيرة بينهما ، ولم تعرف

كيف تجتازها .

يمكنها أن ترى حواجز ولافتات تقول بوضوح

(ابقني خارجا ممنوع الدخول) .

واستسلمت مكرهة الى لمساته الباردة وهو
يساعدها على النهوض عن الأريكة ،
ليسندها في صعودها السلم الى غرفة نومها .

.

وكان هذا خير دليل على تغيره ، فكل ليلة
كان يبقى بعيدا عن غرفتها فلا يدخل اليها ،
او لا يفتح بابها . لكنه قادها الليلية اليها

مباشرة ثم أجلسها على حافة السرير وهو

يقول :

- أظنك بحاجة الى النوم .

بينما كان يهم بالخروج خطر لها أنه يعني ذلك

حقا . ولكنها لم تجد الكلمات لتطلب منه

العودة . خفق قلبها ببعض الارتياح عندما

رأته يتردد ، وقد بدت عليه الرقة ، ثم قال لها

:

- هل بإمكانك أن ترتاحي ؟ ماذا بشأن

تلك الكوابيس ؟ .

ولكنه في هذه اللحظة بدا وكأن العفاريت
السوداء تسكنه . كانت عيناه غائمتين
متبلدتين وقد حفرت حول أنفه وفمه خطوط
واضحة .

– ثمة طريقة واحدة لابعاد الكوابيس .

وربتت على جانب السرير تدعوه . وعندما لم
يستجب رمته بابتسامة باهتة ، وشعرت
بالخوف عندما لم يبادلها ابتسامتها وإنما أخذ
يحملق فيها ببرودة .

– لا .

قال ذلك بصلافة وعناد .

- رونان ، أرجوك !

كانت تعلم أنها ستذوق الأمرين ان هو تركها

بهذا الشكل . فالرعب سيقض مضجعها

حتى يجافئها النوم .

- لا .

.

وكانت هذه المرة أكثر اصرارا من السابقة ،

رغم أنه لم يرفع صوته .

- لكنني خائفة يا رونان ! خائفة من الانفراد

بنفسي ، لن أستطيع أن أنام . .

تنهد باذعان وهو يعود فيتخلل شعره

بأصابعه :

- لن تكوني وحدك ، سأنام هنا .

وأشار الى الأريكة القديمة الطراز القائمة عند

النافذة .

- لكنك لن ترتاح هناك أبدا .

– سأتدبر أمرى .

– رونان . .

– لا . اما أن توافقي أو أخرج وتنامين

وحدك . ماذا تختارين ؟

لم يكن أمامها سوى الموافقة ، حتى لا تواجه

رعب قضاء الليل وحدها .

ففي تلك الليالي التي أمضتها بين ذراعي

رونان عرفت السلام الحقيقي ، والنوم المريح

، ولم تعد تطيق فكرة العودة الى مواجهة

الكوابيس وحيدة . لذا لم يكن أمامها سوى
الاكتفاء بوجوده المريح .

.

في نهاية المطاف ، استرسلت لنوم عميق مع
أنها تعذبت في البداية وهي تراه قريبا بعيدا .
وخافت أن تعاني من الأرق طوال الليل .
ولكن الانهاك ما لبث أن تغلب عليها فنامت
ملء جفونها ولم تستيقظ الا متأخرة صباح

اليوم التالي على صوت المطر على زجاج
النوافذ .

رأت رونان متكورا على الأريكة ، مستغرقا في
النوم ، وقد تساقطت خصلات شعره على
وجهه . أما غطاؤه فقد تداخل في بعضه
البعض وسقط منه ، منبئا بأنه أمضى ليلة
متعبة .

ارتدت عباءتها المنزلية الخضراء ثم نهضت عن
السريير مجتازة الغرفة حافية لتجثم على جانب
الأريكة .

تحرك رونان قليلا وأخذ يتمتم أثناء نومه ،

وكأنما أحس بنظراتها . ثم ، فتح عينيه

فتشابكتا مع عينيها الذهبيتين .

للهولة الأولى ، شعر رونان بالسرور وراح

يتمطى كهر كسول يستمتع بدفء الشمس .

فخفة وزن جسمها على ساقيه ، واحتكاك

شعرها الذهبي بصدرة ، وعطرها المتوهج

دفعه منجرفا مع تيار دافئ متألق .

واذ تحركت قليلا كشفت عباؤها عن جزء من

ثناياها ، فاستيقظ فيه شوق عنيف شعر به

أشبه بسكين حادة تخرق كل عصب فيه ،
وجعله يريد أن يجذبها اليه .

لكن ذكرى أحداث الليلة الماضية كانت
أشبه بصفعة على الوجه من كف متوحش ،
وشعوره القوي بالذنب الذي تلا ذلك كان
من القوة بحيث قاوم أكثر الاغراءات . فقد
بقي مستيقظا ساعات طويلة ، بعد أن
استسلمت ليلي الى النوم ، وهو يعيد
حساباته ليصل الى النتيجة التي لا يمكن
انكارها .

لا يمكن أن يجمعه المستقبل مع ليلي ان لم
يصارحها ويخبرها كل شئ .

والمشكلة أنه يخشي في أعماقه من تأثير
الحقيقة عندما تنكشف . ولعل الخوف من
ألا يجمعهما المستقبل ، هو ما أبقاه مستيقظا
حتى الصباح .

انما عليهما ، أولا ، أن يتحدثا . فأسبغ على

ملاحه قناعا من الهدوء هو أبعد ما يكون

عما يشعر به ، ورسم على ثغره ابتسامة باهتة

:

- صباح الخير .

لم يستغرق ذلك سوى ثانيتين . لكن ليلى

رأت تبدل ملاحه السريع ، مما أثار قلقها .

فقد بدا لها أن ما أبعد عنها الليلة الماضية ،

بقي مستحوذا على أفكاره حتى الصباح .

- هل نمت جيدا ؟

– نعم ، تماما .

جاء جوابه جافا غير ثابت . وقد أحست أنه ، عاد مثلها بأفكاره الى يوم زواجهما الأول ، عندما استيقظت لتراه ينظر اليها وهي نائمة كما تنظر هي الآن اليه .

– وماذا عنك ؟

.

كان يبدو مخيفا ، وكأنه لم يذق طعم النوم الا
مع طلوع الفجر . وأخذ يتمطئ ببطء ،
متجهما وهو يتلمس عضلاته التي تصلبت
بتأثير نومه على الأريكة .

– سأعيش !

ألقي تلك الكلمة بلهجة عفوية خالية من
الحماسة ، ولكن ليلى لم تجد الوقت لتفكر في
مضمونها اذ أضاف قائلا :

– بالنسبة الى الليلة الماضية ، اعلمي أنني لم
أكن أعرف شيئا عن الموضوع . لم يتفوه

ديفي بكلمة عن والديكما وحادثة موتهما ،

ولو كنت أعلم ما كنت عانيته . . .

- لما تزوجتني ؟

فأجابها بصوت فاتر خالٍ من المشاعر :

- هذا صحيح . ما كنت تزوجتك قط ، وأنا

آسف لذلك .

هل علم كم آلمها بقوله هذا ؟ وارتفعت يدها

الى فمها تكبح نسيجا حزينا كاد يفلت منها

.

- لا يمكنك أن تتصوري كم ندمت عليه .

أحسست وكأن سكيناً حادة أغمدت في قلبها ، ولكنها استجمعت مكرهة شجاعته

لترد عليه بحدة :

- لكنك أردت الانتقام ، ووجدت في

شخصاً يسدد ديون ديفي.

- ديون ؟

ردد كلماتها بسخرية :

- لا يمكن لأحد أن يعيد ما أخذه أخوك مني

تنفست ليلي بعمق ، وقالت له مرودة على

مسمعه ما سبق وأكده له :

- أرجو منك أن تصدقني ، سأسدد كل

قرش حتى آخر قطرة من دمي .

.

صعقها صمت رونان الفجائي ، وأحست

وكأن يدا باردة تعتصر قلبها ، ثم قالت وهي

ترتجف :

- لم يكن ذلك مالا ، أليس كذلك ؟ .

لم تترك الشراصة التي هز بها رأسه لديها مجالا
للشك في ما فكرت فيه .

- وما يجرحني أكثر هو ما ظننته بي . هل
تعتقدين حقا حقا أنني من ذلك النوع من
الرجال الذين يسعون للانتقام من أجل (

المال) ؟

- لا . . .

بالرغم من كراهيتها له لطالما أحست بأنه
ليس حقودا ، وقاسيا الى هذا الحد .

ابتلعت ريقها بصعوبة ، ثم أرغمت نفسها
على مواجهة نظراته الثاقبة كأشعة الليزر ،
رافعة الرأس مستقيمة الكتفين وكأنها تعد
نفسها للمواجهة الصعبة .

– أعلم أنك لم تربط ديفي بذلك النوع من
العقود كما يدعي ، وهذا يعني أن أخي كذب
علي منذ البداية . فلماذا لا تخبرني عما
حدث حقا ، يا رونان ؟ لماذا لا تخبرني
بالحقيقة ؟

10 – قلب لا يعرف السلام

لا يريد أن يخبرها .

توترت أعصابها وأصيبت بالذعر فتسارعت دقات قلبها ، واشتد خفقان النبض في عنقها حتى كادت تختنق . ما الذي حصل فعلا ولم يشأ لها أن تعرفه ؟ انه لا يريد أن يخبرها .

تردد صدى هذه الكلمات داخل رأس رونان بألم ، فكل ما خشى أن حدث وهو مستلق

في ظلمة الليل قد تحقق ، ولم يعرف كيف
سيواجه تلك الحقيقة .

.

لقد خيل اليه أن ديفي أطلع ليلى على كل
شئ . فمند لاحظ أنها تحاول أن تشتري
سلامة أخيها ، أقنع نفسه بأن كل ما يأخذه
منها من متعة له ما يبرره بالنسبة لشروطها
اللاأخلاقية .

ولكن اتضح له الآن أنها بريئة من كل التهم
لأنها تجهل ما فعله ديفي .

واذ أعمته رغبة الانتقام ، استولى على حياتها
وسحقها ، وداس على مشاعرها بلا مبالاة .
ألم يجعل منه تصرفه هذا أسوأ أخ ؟

ان أخبرها الآن الحقيقة ، فستكرهه أكثر من
أى وقت مضى ، وتطلب منه الرحيل الى
الأبد . وسيخسر أي فرصة يعرف فيها المزيد
عن ليلي .

جل ما بوسعه أن يفعله هو أن يسهل الأمور
عليها قدر الامكان . هذا ان كان من السهل
عليها أن تعرف أنها وقعت ضحية للاستغلال
والكذب من كليهما .

هكذا أصر على أن يرتديا ملابسهما ويتناولوا
الافطار قبل البدء بالكلام .

ولكن الافطار ، لم يكن سوى مجرد عمل آلي
اذ لم يتناولوا الا القليل والقليل جدا منه .

وأخيرا ، حمل رونان فنجان القهوة الى غرفة
الجلوس وتبعته ليلي بصمت ، وعندما وقفت
عند العتبة لا تدري ما تفعل ، قال :

- اجلسي .

- هل من داع لذلك ؟

.

وندمت على الفور لوقاحتها هذه ، فكل من يرى وجه رونان المقطب وكآبة عينيه ، يعرف أن مزاحها في غير محله .

– آسفة .

وتهاكت على الكرسي .

أخذ قلبها يخفق بعنف ، وشعرت بالغثيان من رائحة القهوة في يدها فوضعت فنجانها جانبا بسرعة .

بدأ رونان كلامه قائلا :

- غريب كيف يمكن أن تتغير حياة المرء في
ظرف ستة أشهر . ففي ستة أشهر ، تجدين
أن كل ما تؤمنين به أو تحبينه يتحطم أو يتلف
بشكل يتعذر اصلاحه .

ستة أشهر ؟ ولكن مرت أربعة أشهر فقط
منذ تعرفت على رونان لأول مرة ، وأثناء
تلك الأسابيع الطويلة ضرب اعصار عنيف
حياتها وقضى عليها .

فأجابته بتأثر :

- أعلم هذا .

رفع رونان رأسه بحدة ، وعيناه تتوهجان في

عينها قائلا :

- نعم ، من المفروض أنك تعلمين .

وهبطت نظراته الى فنجان القهوة مرة أخرى ،
محدقا فيه وكأنه ، مثلها ، لا يرغب في شربه

.

- أظن أن وضعي كان مشابها تماما لوضعك

عندما كنت في السابعة عشرة ، فقبل ستة

أشهر كنت أحظى بكل ما قد يسعد المرء .

أموال كثيرة ، نجاح واسع ، صحة جيدة
والأفضل من كل شئ أسرة رائعة .

خفق قلب ليلى بحدة ، فشقت بصوت
مرتفع ، هل كان لديه أسرة ؟

وتردد صدى هذه الكلمات في رأسها وكأنه
دقات جرس الموت المرعب لكل أمل لديها .
فحين سألته أثناء عرسهما عن أسرته ، أجاب
أن ليس لديه أسرة وها هو الآن يثبت
مخاوفها بقوله :

– كان لدي أم وأب وأخت صغيرة أعشقها .

- آه ، يا لهي رونان ! ماذا حدث ؟

- حدث أن تعرفت الى أخيك .

وتغيرت ملامح وجهه ، والتوى فمه بمرارة

وأصبحت عيناه كالقولاذ .

- د . . ديفي ؟

– نعم ديفي . ديفي كورنويل اللعين . دعيني

أخبرك عن أخيك أو عما أسميه ((تأثير

كورنويل)) .

لا . . أرادت ليلي أن تصرخ ، وتسد أذنيها

بيديها .

– كانت أختي ، روزالي ، على وشك اتمام

عامها الثامن عشر ، وفي آخر سنة من

دراستها العالية . .

– روزالي .

واشتد توتر أعصاب ليلى وهي تتذكر كلامه

السابق عنها . فقد ظنت حينذاك ، أنه

يتحدث عن حبيبة قديمة ، ولكنه كان يقصد

أخته .

– كانت بالغة الذكاء ، والجمال ، انظري

هذه صورتها .

ومد يده الى جيبه فأخرج محفظته ومنها صورة

ألقاها على المنضدة حتى تراها ليلى .

فتاة صبية ، طويلة ، رشيقة ، تشبه رونان .

عيناها زرقاوان متألقتان وشعرها بني محمر ،

وابتسامتها وراسعة تتألق سعادة . وأجفلت
ليلي في داخلها وهي تفكر في كلماته (كان
لدي أخت صغيرة) .

– كنا نتوقع لها مستقبلا رائعا ، لأنها أرادت
أن تلتحق بكلية الحقوق . ولكنها تعرفت الى
أخيك .

وضرب بقبضته اليمنى راحة يده اليسرى
بعنف فأجفلت ليلي ، وانكشمت في كرسيها

– لقد عرفتها بأخيك .

- آه ، لا .

.

تضرعت اليه أن يصمت وقد فقدت قدرتها
على سماع لهجة المرارة وهو يعنف نفسه .
فألقي عليها نظرة ساخرة مرة الى حد مزقت
قلبها .

- في طيات الأكاذيب التي أخبرك اياها ، قد
تجدين شيئاً من الحقيقة .

فقد وقعت معه عقدا ، لأنقذه من المأزق

الذي زج نفسه فيه .

- ولماذا فعلت ذلك ؟

- في التاسعة عشرة من عمري ، وخلال

سنتي الجامعية الأولى ، استهواني اللهو

وصرت أتغيب عن المحاضرات ، وأهمل

دروسي الى أن أدركت أن علي أن أعيد

الامتحان أو اطرده من الجامعة . ولهذا السبب

تعاطفت مع أخيك ، خاصة وأنه يملك موهبة

حقيقية ، فهو موسيقي مذهل وصوته صوت

ملائكي ومؤلفاته الموسيقية مميزة . لقد عزف
لي بعض القطع من تأليفه ، وأثرت في أي
تأثير .

وماتت الكلمات على شفثيه ، ومرت
لحظات صمت عميق لم تستطع خلالها أن
تحول عينيها عن رونان . وكان وجهه شاحبا
والعذاب البادي يحترق في عينيه . ثم قال
بجفاء :

- وهذا ما جعل روزالي تبكي .

- آه ، يا الهي !

وغالبت ليلى دموعها كي لا يظن رونان أنها
من أجل ديفي ، فيسئ الحكم على موضع
تعاطفها .

وتنهد رونان بعمق وهو يدس يده في شعره .
- كنت أعلم أن ديفي مدمن كحول . أما ما
كنت أجهله فهو تعاطيه المخدرات أيضا .

- المخدرات ؟

أطلقت صرخة ذعر حولت عيني رونان
الحزينتين الى وجهها .

– ألم تكويني على علم بالأمر؟ ألم تلاحظني

شيئاً خلال وجوده هنا؟

– أنا . . .

فهمت الآن سبب مزاج ديفي العنيف

والمقلب والنظرات البليدة في عينيه وهزائه

البالغ واختفاء النقود من حقيبة يدها .

– ماذا . . ؟

حاولت أن تتكلم فخذها صوتها . لكن
رونان فسر صمتها بسهولة .

- في البداية كان يأخذ حبوبا مضادة
للاكتئاب . ولكن ، عندما تعرفت اليه كان
قد بدأ يتعاطى الهيروين .

- أواه ، يا ديفي !

كيف يمكن أن يحدث هذا لأخيها الصغير ؟
- لم أكن أعلم أنه خرج عن الطريق المستقيم
الى هذا الحد .

لقد أعمأها حبها لأخيها فلم تر عيوبه .

كانت ايماءة رونان اعترافا حزينا بأنه يصدقها

.

- حاولت أن أعالج المشكلة ، وأجعله يتبع

برنامجا لاعادة تأهيله ووعده بأن أساعده

على بناء مستقبل عظيم ان أحسن التصرف

. ولكنني لم أحسب حساب أصدقائه ،

أعضاء فرقة موسيقية اعتاد أن يعزف معهم .

والتفت اليها ، فتنفست بعمق :

- لم يحسن ديفي قط اختيار أصدقائه . فقد
كان يحرص على ارضاء الشخص ليقبل به
مرافقا .

فقال رونان ساخرا :

- استمر رفاقه بتمويله بالشراب والمخدرات
حتى أضروا به . أخوك ، يا ليلي ، يملك
موهبة عظيمة . لكنه أفسد كل شيء تحت
تأثير رفاقه .

- لقد أخبرني ذلك .

واذ لاحظت أنه يضغط بشدة على فنجانه ،

خافت أن يهشمه فسارت اليه تأخذه منه ،

ثم نظرت في عينيه ، وهي تضيف باخلاص :

– كان يشعر بالأسف الخالص لذلك .

– حري به أن يشعر بالأسف .

أجابها رونان بذلك باختصار ووجهه كحجر

الصوان .

- أردت أن أقيده بعقد ، حتى يعود الى
رشدته ويواجه الواقع فيجتهد في العمل ليبنى
مستقبله . وبعد أن توقف عن دفع الأيجار
طرد من شقته ، فدعوته للإقامة عندي فترة
من الزمن ، وهناك تعرف الى أختي .

ثم نهض واقفا واجتاز الباب المؤدي الى
الحديقة حيث وقف يحدق الى المطر وقد
بدت الكراهية في كل خلية من كيانه .

- وصلت روزالي أثناء غيابي عن البيت ،
وعند عودتي بدا واضحا أن ديفي قد فتنها

ودخل قلبها . انه فتى وسيم ، وساحر . وان

صمم على شئ لا يستطيع أحد رده .

- وحذرت أختك منه طبعاً .

- وماذا يفترض بي أن أفعل غير ذلك بحق

جهنم ؟

قال ذلك وهو يستدير ليواجهها فأجفلت

وهي تدرك أنه أخطأ فهم كلامها ، واعتبره

انتقاداً .

- أردتها أن تمنحني وقتاً لأصلحه وأعيده الى

الطريق المستقيم . ولكنها اتهمتني بالاستبداد

وادعت أنني لا أعرف شيئاً عن الحب .
أظنها شبهت نفسها بجولييت وهو بروميو ،
فلقيت المصير نفسه تقريبا .
وتملك ليلى الأسي وهي ترى ارتجاف يديه
الكاشف عن الكآبة التي سيطرت عليه .
وتمنت لو تسير اليه وتحتضنه مواسية ، لكن
حدسها أنبأها بأنه سيرفض هذا .

– وماذا حدث ؟

– في عيد ميلادها الثامن عشر أخذها ديفي
الى أحد النوادي الذي تعود أن يرتادها

للاحتفال . وفي ذلك المكان كانوا يزودونه

بكمية وافية من المخدرات .

- أه ، لا . . .

همست ليلى بذلك وقد بدأت تدرك ما

حدث . وتابع كلامه قائلاً :

- آه ، نعم . لقد جعلها تبتلع حبة لعينة

كاملة من حبوب ((النشوة)) تلك .

كانت نبرة صوته عنيفة للغاية ، تعكس الألم

الذي لم يسمح له بالظهور على ملامحه .

فبدا لها وكأنه حبس هذا العذاب في داخله

طوال الوقت ، حتى أخذ يتقيح مسمما كيانه

.

.

- حبة واحدة ، قتلها تلك الحبة . بقيت في
قسم العناية الفائقة عدة أيام ، لكننا كنا نعلم
جميعا أنه لا أمل يرجى .

التفت ليلى الى منضدة القهوة ببطء ، تعيد
النظر الى صورة روزالي التي تركها رونان هناك

فاغرورقت عيناها بالدموع وهي تتصور هذه

المخلوقة الجميلة الضاحكة المليئة بالحياة ،

ممددة جثة هامدة . وتذكرت مبلغ الوحشية

التي شعرته بها عندما مات والداها بذلك

العمر المبكر . ورأت أن بإمكانها أن تشارك

رونان الصدمة والعذاب اللذين عانا منهما

ازاء خسارته الهائلة تلك .

- رونان . أنا آسفة . .

لكنه لم يسمعها ، لأنه كان يهيم بالخروج من
الغرفة ، وكاد يخرج من الباب عندما أدركت
ذلك .

– رونان !

وتعثرت راكضة خلفه وقد تملكها الذهول
والاضطراب ، ثم أمسكت به في الردهة .

– رونان ، انتظر .

بدت لها النظرة التي ألقاها عليها أشبه بصفحة
على وجهها .

– هذا ليس كل شيء ، أليس كذلك ؟

– أليس كافيا ؟

.

بل أكثر مما يكفي ، وأكثر مما تستطيع
احتماله . ولكنها تريد أن تعرف الحقيقة
بأكملها مهما كانت قاسية .

عاد رونان يتعد عنها ، فأرغمت نفسها على
الللحاق به الى الردهة ومن ثم الى الخارج .
ذكرها هذا المشهد باليوم الأول من زواجهما

، حين لحقت به الى هنا بنفس الطريقة ،

طالبة منه تفسيراً .

– رونان ، أخبرني ؟

وقف بشكل مفاجئ فكادت تصطدم به من

الخلف . ولكن عندما تقدمت الى الأمام

لترى وجهه ، اعتصر قلبها لرؤية شحوب

وجهه والحزن في عينيه .

فقال تلح عليه :

– أخبرني .

مضت لحظة طويلة ظنت خلالها أنه سيهز

رأسه نفيا ويرفض اخبارها .

لكنه عاد فنصب قامته وكأنه قبل ما لا

مناص منه .

- وجد أبي نفسه مرغما على اتخاذ قرار قطع

أجهزة امدادات الحياة عن روزالي التي كانت

ميتة سريريا . ولكن هذا القرار حطمه ، اذ لا

يتوقع الآباء العيش أكثر من أولادهم .

وذهب الى الكاراج وملاً أنبوبة من العادم

أفرغها في السيارة ، ثم أدار المحرك وكنت أنا
من وجدته .

وارتسم على وجهه رعب تلك اللحظة .

- وهل . .

ولم تستطع أن تكمل سؤاها .

- لا والحمد لله أدركته قبل فوات الأوان .

لكنه بقي في حالة خطرة لبعض الوقت .

ونظر الى وجهها الذاهل بما يشبه الشماتة

المتجهمة :

- حسنا ، أنت من أراد معرفة الحقيقة .

- نعم ، هذا صحيح .

وهي الآن تعلم . شعرت في أعماقها وكأنها

تتمزق وكأنها لن تعود أبدا انسانا سويا .

- وأمك ؟

- بذلت قصارى جهدها لتتماسك وتمنع

نفسها من الانهيار اذ كان والدي بحاجة اليها

– أخبرتني أنه ليس لديك أسرة .

فأجابها بصوت بارد ، باتر كالسيف :

– كذبت عليك . كان ينبغي أن أخبرك بأن

أفراد عائلتي يرفضون حضور الزفاف .

– لا شك أن والديك لم يرضيا بهذا الزواج .

أخذت تتذكر بأن المدعويين كانوا من

الموظفين الذين لا يعلمون شيئاً عن حياته

الخاصة أو يتحدثون عنها ، ما عدا شاهد

العرس الذي أزعجها موقفه حينذاك .

- بالضبط . لم يكن بوسعي أن أقول لهما ،

انى سأتزوج من أخت الفتى الذي أعطى

الحبة القاتلة لروزالي ، فهل ستحضرن ؟

لذعتها سخريته القاسية بينما تابع كلامه

قائلا :

- لا أظنهما كانا سيحضران الزفاف .

- ألم تخبرهما الحقيقة ؟

الحقيقة هي أنه أراد أن يستعمل ذلك الزواج

سلاحاً ضد أخيها .

هز رأسه وهو يقول :

- كان حزنها عميقاً جداً ، فخطر لي أن

أعالج الأمور بنفسني .

- وتقصد بذلك الانتقام ؟

- أردت أن أؤذي أخاك ، وأدمره كما دمر

أسرتي . لكنني لم أستطع العثور على ديفي .

فمنذ موت روزالي توارى عن الأنظار ، فخطر

لي أن ثمة طريقة أخرى .

فقال مرغمة نفسها :

– أنا .

أجاب بخشونة :

– أنت .

ليته يستطيع الانكار ! ولكنه وعدها بأن

يخبرها الحقيقة كاملة ، مهما كلفه ذلك .

وما الفرق الآن ؟ لقد فقدتها ، كما كان

يتوقع . رأى ذلك في عينيها ، وفي الضلال

التي كانت تحيط بهما ، وفي صوتها البارد

النائي . لقد فقدتها . . وكاد يقهقه ضاحكا

لهذه السخرية المرة . ما الذي سيخسره ؟

منذ أسبوع أوضحت ليلي شعورها نحوه . ربما

يستطيع لمسها وبعث رعشة الحياة في جسمها

، ولكنه لن يستطيع أبدا أن يصل الى عقلها

الذي أغلقته في وجهه . فقد كرهته لما فعله

بها ، ومن يلومها ؟ فهو يكره نفسه .

.

– غالباً ما كان ديفي يتحدث عنك . ماذا
تعملين وأين تعيشين ، فحسبت أنني أستطيع
الوصول إليه من خلالك ، واعتبرت الأمر
عدلاً . ليس العين بالعين إنما الأخت
بالأخت .

– وتدمر سعادتي ؟ وتدمرنى ؟

كان من التهذيب ، على الأقل ، بحيث لم
يتجاهل هذا السؤال ، فنظر في عينيها
مباشرة وهو يجيب :

– نعم كانت تلك خطتي .

– وهل أنت سعيد الآن ؟

– سعيد ؟

ردد هذه الكلمة وكأنه لم يفهمها .

– لا ، لست سعيدا .

– وما الذى يسعدك اذن ؟

قذفت هذه الكلمة في وجهه بمزيج من الألم

والتحدي والرعب لفكرة أنه حتى الآن لم

يشعر بالرضا ، فما فعله ديفي كان مرعبا ،

ولكنه شعر على الأقل بالندم ، وتأنيب

الضمير .

- ومتى تتخلص من كراهيتك هذه ؟ بعد أن

تحطم حياتي تماما ؟ لكنك حطمتها الآن !

وجعلتني أكرهك كما لم أكره انسانا من قبل

..

.

مع كل تهمة ألقته ، كانت تتقدم الى الأمام

وإذا بها تذهل وهي ترى رونان يتراجع مبتعدا

عنها ، رافعا يديه أمامه وكأنه يدافع عن
نفسه .

لم يخطر في بالها قط أن رونان قد يحتاج الى
من يحميه منها . كانت بعيدة عن العقل
بحيث كادت تمحو العذاب الذي تحسه .

- متى تخرج من حياتي يا رونان ؟ متى ترحل
الى الأبد وتتركني بسلام ؟ ولكن الى أي مدى
تريد أن تباعد عني ؟ أتريد تدمير ديفي ، أم
أنك تريد أن تراني ميتة ، مثل روزالي .

تسمر مكانه وهو يسمع كلماتها تلك وراح
يحدق اليها وقد زال من وجهه كل أثر من
لون .

- يا اهي ! يا ليلي ! لا ، أبدا ! لم يخطر في
بالي قط . .

- بل لم يخطر في بالك أى شئ على الاطلاق
! لم يخطر في بالك أن تخبرني عما فعله ديفي ،
لتمنحني الفرصة لأظهر لك تعاطفي معك ،
لم يخطر في بالك قط أنني قد أجد حلا . .

- ما كان بإمكانك . .

– ما كان بإمكانني أن أفعل شيئاً؟ وهل

منحتني فرصة؟ كان بإمكانني أن أبذل

جهدي لتصليح الأمور!

– وهل تحبين أخاك الى هذا الحد؟

– أحب أخي بقدر ما كنت تحب أختك.

هل أقنعك هذا الجواب؟

ولقد أقنعه فعلا ، فلطالما تساءل عن السبب
الذي جعلها تقبل مشاطرته حياته الزوجية
بعد أن قالت انها تفضل الموت على ذلك .
ها قد وجد الجواب على سؤاله .

فقد قدمت ليلى نفسها قربانا لأجل أخيها ،
معتقدة أن ذلك قد يساعده . وقبلت أن
تشاركه سريره عله ينسى حقه على أخيها .
لم يعد من سبيل للتراجع الآن . لم يعد من
سبيل لشفاء الجراح التي احدثها في نفسها ،

جل ما يمكنه القيام به لأجلها هو أن يتركها
بسلام كما طلبت منه .

واذ به يدرك فجأة ، وفي تلك اللحظة
بالذات ، أنه يجب هذه المرأة ، وأن الطريقة
الوحيدة لاثبات ذلك هي أن يتعد عنها .
أرغم نفسه على أن يجيبها من خلال شفتيه
المتخشبتين :

– نعم . أظن ذلك . ساعطيك الآن جوابا

عن سؤالك .

– سؤالى . . ؟

وحاولت أن تتذكر سؤالها ذاك ، ولكن عقلها
توقف عن العمل كما تجمد الدم في عروقها ،
ازاء لهجته الفاترة والازدراء الثلجي في عينيه

– طلبت مني أن أخرج من حياتك ، وارحل
وأتركك بسلام والى الأبد ؟

– ولكن . .

لم تستطع القول انها قالت ذلك بدافع
الغضب والألم . فأخر ما تريده هو أن يخرج

من حياتها ، لأنها تحبه وقد تموت ان تركها من

جديد .

ولكن هذا ليس عدلا ، فرونان لا يحبها ،

ويعتبرها مجرد أداة للانتقام من ديفي . فما

فعله ديفي سيبقى دائما عائقا بينهما . لقد

ألحق أخوها الأذى برونان وأسرته الى حد لن

تستطيع الضغط عليه أكثر ليوصل علاقته

بالأسرة التي يكرهها أشد الكره .

انها تحب رونان أكثر من الحياة نفسها ،
لكنها تعلم ، أن الطريقة الوحيدة لإظهار
حبها هي بأن تطلق سراحه ليتعرف الى امرأة
أخرى ، قد تساعد على شفاء الجرح الذي
أحدثه فقدانه لأخته .

وقفت صامته ، تستمع اليه من دون أن
تنبس بكلمة ، رغم أن قلبها كان يصرخ
بعذاب .

– الجواب هو أنى سأحزم أمتعتى وأختفى

من حياتك من دون عودة ، فهذه المرة
سأتركك بسلام والى الأبد . لا بل سأفعل
أكثر من هذا ، سأعطيك حريرتك ، حالمًا
أصل الى لندن سأطلب من المحامى القيام
باجراءات الطلاق .

أصبح فصل الخريف على الأبواب . وقفت
ليلى أمام النافذة تنظر الى المشهد الذي
أمامها من دون أن تراه . استمر دفاً فصل
الصيف حتى أيلول ، لكن الليالي أصبحت
الآن أطول ، والهواء أكثر برودة . حتى
الحديقة التي انكبت على الاعتناء بها بعد
رحيل رونان ، لتشغل ذهنها وتتعب جسدها
ذوت وبهتت واستعدت لاستقبال الشتاء .

((كفى !))

أخذت تعنف نفسها وهي تتحول عن هذا

المنظر الكئيب الذي يؤكد رحيل رونان

ورغبته بالبقاء بعيدا . كم عانت خلال

الأشهر الماضية وهي تبذل جهدها لمواجهة

ذلك الفراغ المرعب الذي خلفه في حياتها

وقلبها .

ولكن من الصعب عليها ألا تحسب الأيام

خاصة بعد أن اكتشفت أنها حامل . فلا

شك أن هذا الجنين هو ثمرة تلك الليلة التي

أمضياها معا بعد عودتهما من نادى ((الليدز

((.

.

فى البداية ، ظنت أن شعورها بالغثيان هو
ناتج عن حزنها لرحيل رونان . لكن بعد أن
طالت مدته أخذت تعد الأيام ، فتأكدت من
حملها .

أيقظها رنين جرس الباب من تأملاتها الكئيبه
فأسرعت تفتح .

بقيت لحظات مذهولة مشتتة الذهن لم
تستطع خلالها أن تميز ذاك الفتى الواقف عند
عتبة الباب فمع أن وجهه يبدو مألوفا ، الا
أنها . . .

ولكن عندما ابتسم لها ، عرفته على الفور :
- مرحبا ، يا أختي . هل أدهشتك رؤيتي ؟ .
كان في صوته نبرة ارتباك ، وكأنه لم يكن واثقا
ما اذا كانت سترحب به .

- ديفي !

وارتمت عليه تعانقه :

- أين كنت ؟ لماذا لم تتصل بي ؟ أو حتى

تبعث لي رسالة . . .

- نعم ، أعرف هذا ، وأنا آسف للغاية .

وتملص من عناقها وقد بدا عليه الحزن :

- أردت أن أطمئنك علي ، ولكن كان علي

أن أعالج بعض المسائل أولاً . . .

- ويبدو أنك نجحت في ذلك . .

أخذ صوتها يرتجف وقد لاحظت التغير
الواضح في مظهر أخيها . انه شخص جديد
متألق العينين نقي البشرة بادي الصحة .
كان شعره الأشقر الطويل ، يلمع من تأثير
العناية المنتظمة ، وملابسه جديدة نظيفة ،
وجسمه أكثر امتلاءً وكأنه كان يأكل جيداً
منذ رحيله .

- ماذا حدث لك ؟

- رونان غيرين . . لا

رأى ديفي الخوف في عينيها فأسرع يطمئنها .

- لم يفعل شيئاً يؤذيني ، يا ليلي . على

العكس ، نشلني من الضياع وأصلح حالي ،
فوضعتني في مركز للعلاج من الادمان ، حيث

كنت طوال هذا الزمن . .

- رونان فعل هذا ؟

ثم جذب انتباهها شئ آخر قاله ديفي :

- هل دخلت مركز للعلاج من الادمان ؟

هل أنت الآن . . ؟ .

- شفيت الآن تماما ، ولا أنوي العودة الى

الادمان مجددا . لم يكن الأمر سهلا أبدا ،

ولكن رونان وقف الى جانبي وساعدني في كل

خطوة خطوتها . وبعد أن اجتزت هذه

المصاعب كلها ، لا أريد العودة على

الاطلاق الى ما كنت عليه ، لأنني اقدرت

أخطاء فظيعة .

- روزالي .

أظلمت عينا أخيها ، وقال بصوت خافت :

- نعم ، روزالي . قال لي رونان انه أخبرك كل

شئ .

وفجأة ، عاد ورفع نظره اليها وأمسك بيدها

قائلا :

- ولكن أقسم لك أنني لم أعطِ أنا تلك الحبة

لروزالي . صحيح أنني كنت موجودا ، لكنني

كنت في حالة من الشرود بحيث لم أعِ ما

يحدث ، فأقنعها أحد الفتيان بتجربة تلك

الحبة .

وأمسك بيدها وقد اغرورقت عيناه بالدموع :

- شعرت بنفسي مسؤولاً عن ذلك ، فلو

كنت واعياً لتمكنت من منع ذلك ، أو على

الأقل ، لنقلتها بسرعة الى المستشفى عندما

أدركت أنها في خطر . لن أغفر لنفسي أبداً يا

ليلي . فقد أحببت تلك الفتاة من كل قلبي .

- وهل يعلم رومان هذا ؟

أقلت هذا السؤال لاهثة وقلبها يخفق فان
علم رونان بأن ديفي غير مسؤول عن موت
روزالي ، فقد يتغير الوضع بالنسبة الى
علاقتهما .

- نعم .

ولم يع ديفي أن جوابه هذا أطفأ آخر قيس
من الأمل لديها .

- عندما وجدت أخيرا الشجاعة لأذهب اليه
وأطلعته على الحقيقة ، كان مستعدا لمقابلتي .

فتحدثنا لساعات طويلة عن طفولتي وموت
أبوينا . وبعد ذلك وضع لي برنامجا أسير عليه
. لقد أنقذ حياتي يا ليلي .

– آه ، يا ديفي . أنت لا تعلم كم يعني لي
كل هذا .

وأمسكته بيدها تقوده الى الداخل ، لتخفي
الدموع التي حرقت عينيها .

لقد استطاع رونان أن يصفح عن ديفي ،
لكنه لم يستطع أن يحمل نفسه على الاتصال
بها .

- أصر علي أن أكتب اليك وأعلمك أنني
ببخير ، وأن آتي لرؤيتك حالما أخرج وقد
وعدني بأن يجد لي مهنة لطالما حلمت بها ان
بقيت بعيدا عن المخدرات . وأنا مستعد
للقيام بذلك اكراما لروزالي ، ولك ، ولرونان

اكتفت ليلي بالايحاء بصمت ، وهو يقرن
اسمها باسم رونان من دون وعي منه .

- تبيين مختلففة يا ليلي ، هل أنت حامل ؟

لا حظ أخيرا التغير الذي أسبغه الحمل عليها

.

- وفي شهري الرابع .

قالت ليلي ذلك بصوت امتزج فيه الضحك

والبكاء في آن معا .

- هل هو ابن رونان ؟ قال انه ثمة شئ ما

بينكما .

- شئ ما . .

وابتلعت ليلي غصة خانقة وهي تومئ بحزن .

واذ لم تستطع مواصلة كبح دموعها انهمرت

على وجنتيها .

- أواه يا ليلي ! هل يعلم ؟

- لم . . لم أخبره .

- لم تخبريه . . . ؟ ولكن عليك أن تفعلي ،

يا ليلي ! له الحق في أن يعلم أنه ينتظر

مولودا . ألا ترين مدى أهمية ذلك ؟ هذا

شئ حسن .

لكن ليلى تشك في أن ينظر رونان الى الأمر

من هذا المنظار .

فقال بصوت مختق :

- لن يرغب فيه ، يا ديفي ، فهو يكره

أسرتنا .

.

ولكن هذه الكلمات بدت لها فجأة غير
مقنعة . فلو أن رونان يكرههم حقاً ، لما
ساعد أخاها الى هذا الحد . فعادت تقول بألم

مغيرة حجتها :

– انه لا يحبني .

فأجابها بحدة :

– هل أنت واثقة من ذلك ؟ فالرجل الذي
عاشرته خلال الأشهر الأخيرة ليس هو نفسه
رونان الذي كنت أعرفه . لقد تغير ، وكأن
نورا انطفاً في أعماقه . وهذا ليس بسبب

روزالي فقط . انه أشبه بشخص يعيش على
هامش الحياة ، ولا يهتم مثقال ذرة بأي شئ
. لم أستطع أن أفهم ما سبب ذلك ، ولكنني
الآن كونت فكرة عن الموضوع .

رأى بصيص الأمل في عيني أخته ، لم تستطع
أن تخفيه .

– عليك أن تذهبي اليه . . وأن تخبريه .

فهمست بقنوط :

لا أستطيع ! ماذا لو أغلق الباب في وجهي ؟

قد يقضي ذلك علي ، خصوصا الآن .

– لن تعرفي قط الا اذا حاولت ، أعرف أنه
لن يأتي اليك . لقد أخبرني بأنك طلبت منه
أن يخرج من حياتك ، والشئ الوحيد الذى
يمكنه أن يفعله لأجلك هو أن يبقى بعيدا
عنك .

– هل قال ذلك ؟

الشئ الوحيد الذي يمكنه أن يفعله لأجلي .
لم تستطع أن تمنع ما شعرت به . ففي
أعماقها كانت بذرة الشوق الصغيرة قد
تجدرت ، وأخذت في النمو . . هل هذا

ممکن ؟ أصحیح أن رونان یشعر بشئ نحوها
؟

الحق مع ديفي . ثمة طريقة واحدة لمعرفة
ذلك ، ولكن هل تتحلى بالشجاعة الكافية
للقيام بذلك .

في اليوم التالي وصلت ليلي الى منزل رونان
الأنيق لتجده مظلماً وأبوابه مغلقة ، فتحول
مزاجها من التوجس والتوتر الى القنوط .

وأخذت تدعو الله ، بصمت ، أن يكون

موجودا ، الا أن أحدا لم يجب على رنين

جرس الباب .

ماذا تفعل الآن ؟ يمكنها انتظاره . ولكن من

يعلم ان كان رونان سيعود هذه الليلة ؟

.

في تلك اللحظة لفت نظرها وهج ضئيل ،
يتسرب من مكان ما من القسم الخلفي
للمنزل الى الحديقة ، فتحركت ليلى بحذر
متجهة نحوه .

اجتازت الطريق الضيق بجانب المنزل ،
فوجدت غرفة جلوس واسعة تطل على
حديقة فسيحة ذات باب زجاجي باتساع
الجدار تقريبا . كانت الغرفة غارقة في ظلام
دامس يخرقه وهج النار في المدفأة الرخامية .

لا شك أن رونان أشعل النار للتغلب على

صقيع المساء ، فالليلة باردة حقا .

ولكن هذا يعني أنه مصمم على العودة هذه

الليلة الى المنزل ، واذ همت بالابتعاد لفتت

انتباهها حركة خفيفة سمرتھا مكانھا .

– رونان !

.

همست باسمه وقد رأته رجلا مستلقيا على
الأريكة مستغرقا في نوم عميق جيدا بحيث أن
رنين جرس الباب لم يوقظه . راحت تسترق
النظر من خلال الزجاج فاستطاعت أن تميز
جسمه الطويل ، ووجهه القوي القسما
وشعره القائم الذي يضيئه لهب نيران المدفأة .
رفعت يدها لتدق على الزجاج ولكنها عادت
وغيرت رأيها ، لا يمكنها أن تقتحم منزله بهذا
الشكل . . وتخيلته يستيقظ مجفلا ليرى)

الزوجة) التي تركها وراءه في مكان بعيد ،

تسرق اليه النظر .

ولكن ماذا عليها أن تفعل ؟ واذا دست يديها

في جيب معطفها وجدت المفاتيح التي أعطها

ديفي اليها ، قائلا :

- طلب مني رونان أن أستعمل منزله

وأعطاني مفاتيحه . خذها معك ، لا أحد

يعلم ، فقد تنفك .

خفق قلبها خوفا ، وأسرعت الى الباب

الأمامي للبيت وأدخلت المفتاح في القفل ،

وأدارته بخفة كي لا تصدر صوتا عاليا ، ثم
فتحت الباب ودخلت الى الردهة الفسيحة .

.

ما ان أصبحت في الداخل ، حتى تأهبت
حواسها كلها . . ثمّة شئ مريع . . مريع
للغاية ، شعرت بذلك بالغريزة .

نظرت حولها متوترة ، ثم أخذت تشتم الهواء

كهرة متوترة . حريق ! واقشعر جلدها

مدعورة ، ثمة شئ يحترق .

وتحركت بسرعة مجتازة الباب الذي يؤدي الى

غرفة الجلوس ، ودفعته بقوة لتفتحه ، واذا

بالرائحة تزداد سوءا ، بينما الدخان يلف

الغرفة . تسمرت رعبا ، وهي ترى جمرة

أخرى متوهجة تستقر على السجادة بجانب

المدفأة ، وتلتهب بعد أن أدركت طرف

صحيفة ملقاة هناك ، التهم اللهب الصحيفة

بسرعة وازداد توهجه وهو ينتقل بثبات

زاحفا نحو . .

- رونان !

صرخت بذلك وهي تندفع الى الأمام ،
مختطفة وسادة في طريقها لتضرب بها النار
كوسيلة مرجلة للاطفاء ، الا أنها لم تبال
بالنيران وهي تسري في أطراف الوسادة
فتصل الى يديها . ولم تتوقف حتى حين
تأكدت من انطفائها تماما ، بل أخذت تتابع
الضرب فترة طويلة بعد انطفائها .

وعلى الأريكة ، أخذ رونان يتحرك متملماً
بضيق ، وقد أزعجته الضجة . ففتح عينيه
الثقيلتي الأجفان وأخذ يحدق مذهولاً ، في
المشهد البادي أمامه .

.

ليلي ، هنا ؟ مستحيل . لا بد أنه يحلم فغالباً
ما يحلم بأنها عادت الى حياته ، لكنه كان

دوما يستيقظ ليجد أن مخيلته كانت تخذعه ،
كما تخذعه الآن .

أخذ يطرف بأجفانه بقوة ، وعاد يركز نظراته
، فرأى المرأة الشقراء ما زالت موجودة .

– ماذا . . ؟ ليلى ؟

سمعت ليلى صوت رونان من خلفها ، وبدا
لها مضطربا مشتتا .

– بحق السماء يا ليلى ، النار مطفأة !

وأمسكت يداها الحازمتان ذراعيها ، لتوقفها
عن الحركة .

– انها مطفأة .

كرر قوله بمزيد من التأكيد ، وقد ظهرت في
صوته نبرة منخفضة لم تستطع تفسيرها .

– آه . . نعم .

خذها صوتها تماما فأوقفها رونان وضمها اليه
لحظة ، ليتركها بعدها ويجتاز الغرفة ويضئ
النور . وعندما التفت اليها ، راعها التغير في
مظهره . فقد بدا واضحا ، في بنطلونه الجينز
وكنزته السوداء ، أنه فقد وزنه بينما غطت

الظلال السوداء تحت عينيه ، وظهر الانهاك
والقلق على وجهه وكأنه لا ينام جيدا . ولا
شك أن الارهاق البادي عليه هو الذي حال
دون احساسه بالنيران قبلها هي .
أيعقل أن تكون هي السبب ؟ هل كان ديفي
محقا حين قال ان رونان يفتقدها ؟

- يا اهي يا ليلي . . يداك !

جعلها هتاف رونان المصعوق تنظر الى البقع

الحمراء على راحتها ومعصمها بتبلد وعدم

فهم .

- أنت مصابة ، لا بد أنك أحرقت نفسك .

- لم . . لم أدرك ذلك .

كان هذا صحيحا ، فهي لم تشعر بألم كما لم

تفكر في نفسها . فقد صبت اهتمامها كله

على انقاذ رونان .

- أنت . .

وسكت بحدة متغاضيا عما كان يهم بقوله :

- أريني .

رفعت يديها فأخذ يتلمس راحتها المصابتين

برفق وملامحه القوية مستغرقة في التفكير .

- تحتاج هذه اليد الى ضمادات . تعالي الى

المطبخ ، ثمة صندوق للاسعافات الأولية .

تبعته ليلي ، مدعنة بصمت ، اذ خانها لسانها

ازاء اهتمامه واعتناؤه بها .

- من الأفضل أن أصطحبك الى المستشفى

قال ذلك وقد رأى الدموع المترققة في عينيها

، فأخطأ في تقدير سبب ذلك .

- هل تشعرين بالألم ؟

.

بالمقارنة مع مشاعرها المتكدرة ، بدا لها الألم

الجسدي عديم الأهمية .

لكنها لا تستطيع ان تقول له ذلك وهي لم

تسمع منه كلمة تدل على سروره لحضورها

رغم ما أبداه من اهتمام وعناية .

- لا ، لا داعي لذلك .

فكيف لها أن تخبره عن سبب مجيئها في قسم

الطوارئ في المستشفى .

- هذا كافٍ ، صدقني .

وحركت يديها تشير الى الضماد الذي وضعه

عليهما .

لكن تظاهرها بالشجاعة ما لبث أن تلاشى

عندما هاجمتها موجة مفاجئة من الدوار

جعلتها تترنح في وقفاتها .

- ليلى . .

ومد يديه اليها ، لكنها ابتعدت عنه بحدة .

كانت تحترق شوقا للارتقاء بين ذراعيه

والاستسلام له كليا ، ولكنها لم تستطع أن

تدعن لرغباتها .

فاعتناؤه بها لا يدل على أنه يكن لها مشاعر

قوية .

– انها ردة فعل فقط لما حصل . اذا

استطعت الجلوس . .

– طبعا .

وقادها عائدا بها الى غرفة الجلوس وأجلسها

على اريكة خضراء .

- ان كانت النار تزعجك ، يمكنني أن . .

فأسرعت تطمئنه :

- لا ، لا بأس في ذلك .

.

لم يعد اللهب المتصاعد يزعجها . فقد
واجهت لتوها خوفها من النار وتغلبت عليه
. ليتمها تستطيع أن تفعل الشيء نفسه بالنسبة
الى رونان ! لكنها لم تجرؤ على الحديث معه
مباشرة لأنها ستخسر الكثير ان كانت
النتيجة سلبية .

جلس رونان على كرسي أمامها مائلا نحوها ،
مريحا ذراعيه على ركبتيه وهو ينظر اليها بعزم

:

- ليلي ، لماذا أنت هنا ؟ ما الذي جاء بك

الى لندن ؟ .

حاولت ليلي ، بانفعال ، أن تجد جوابا مبهما

.

- الأمر يتعلق بزواجنا ، لا يمكننا الاستمرار

على هذه الحالة .

- فهمت .

وتراجع الى الخلف فجأة ، وكأنه أصيب

بضربة عنيفة . فقد قضت كلماتها تلك على

بصيص الأمل الذي لاح له في الأفق .

حاول رونان أن يؤخر اجراءات الطلاق عل
ليلي تعيد التفكير في الأمر وتغفر له ما فعله
بها من أشياء مفرعة ، فتمنحه فرصة جديدة
ليحولا زواجهما الزائف الى زواج حقيقي .
ولكن يبدو أن أمله خاب .

– طبعا .

كان صوته فاترا منخفضا خاليا من المشاعر .

– كنت أتساءل متى سيحدث . من هو ؟

لم تفهم ما يقصده :

– من هو ؟ عنم تتكلم ؟ .

– الرجل الآخر ، الرجل الذي تريد البقاء
معه . أظنك جئت لتسألني عن سبب تأخري
في اجراءات الطلاق .

– ليس هذا سبب حضوري !

أفلت هذه الكلمات منها قبل أن تفكر في
مدى حكمتها ، فهي لا تريد أن يظن أن ثمة
رجلا آخر في حياتها .

تألقت عيناه ببريق غريب وهو يسألها :

- لماذا جئت اذن ؟ .

دقت لحظة الحقيقة . فملاً الذعر قلبها

واشتعلت النيران في عروقها ، وبدأت

تتصبب عرقا .

مسحت العرق عن جبينها بيد مرتجفة وهي

ترى نظرات رونان اليقظة تتبع حركتها هذه .

- أليس من الأفضل لك أن تخلعي معطفك

؟

لم يكن أمامها من خيار سوى الامتثال لرأيه ،
حتى لا تثير شكوكه .

تنفست بعمق ، ثم وقفت وخلعت معطفها
الواقى من المطر الذي كان يخفي حملها .
لاحظ على الفور تغير جسمها ، خاصة وأنه
يعرف تفاصيله حق المعرفة . لم تدرك إلا الآن
مدى الشبه بين لون ثوبها هذا وبين لون

الثوب الذي لبسته تلك الليلة التي أخذها
فيها الى نادى ((الليدز)) تلك الليلة التي
حملت فيها بجنينها .

- هل أنت حامل ؟

فأطلقت ضحكة صغيرة مرتجفة للحيرة التي
بدت عليه :

- لا يمكنني انكار هذا ، أليس كذلك ؟ .

وأخذت تسوي كنزتها فوق الانتفاخ البسيط

الذي بدأ يظهر . ولكن عندما نظرت الى

رونان ، صدمت للغضب العنيف الذي

كانت تلتهب به عيناه وقد تصلبت ملامحه
حتى بدت وكأنها منحوتة من حجر الصوان .

أتراها أخطأت في الحكم على الأشياء ؟

- وهل أردت اخفاء الأمر عني ؟

سألها بصوت جاف وهو يندفع واقفا ،

فأجابته وهي ترتجف :

- لكنني أتيت لأخبرك ، أليس كذلك ؟ .

تمنت لو أنه لم يقف بقربها مشرفا عليها بقامته

الفارعة القوية مهددا ، وشعرت وكأن الأرض

تنهار تحت قدميها ، جاهلة ما اذا كان غضبه

هذا لأنها لم تخبره قبل الآن لأنها حامل بطفل

لا يريد .

- لقد تأخرت طويلا .

- كنت . .

وعندما لم تستطع أن تكمل كلامها ، أُلح

عليها يسألها :

- كنت . . ؟ يا ليلي . . ؟ كنت ماذا ؟ .

- كنت خائفة !

قذفت هذه الكلمة في وجهه ، متخفية بذلك

عن تحفظها .

– خائفة !

ردد كلمتها هذه مذهولا .

.

– خائفة من ماذا ؟ من أن أطلب منك أن

تجهضى ؟ أواه ، يا ليلي . .

تغير مزاجه فجأة وتلاشى التوتر من جسمه

القوي ، واسترخت ملامحه القاسية المتصلبة .

– أنت مخطئة جدا .

قال ذلك برقة فائقة جعلت ليلى تحرق اليه

مضطربة غير مصدقة .

– لكن يجب أن تري أن هذا يغير كل شئ

وعليك أن تطلي من صديقك أن يبحث عن

امرأة أخرى . مستحيل أن أوافق على

الطلاق الآن .

– أنا . .

فانفجرت تقول بيأس :

- ليس لدي صديق . وكم مرة علي ان
أخبرك بأنني لم أحضر الى هنا من أجل
الطلاق .

نظر اليها مستغربا وسألها :

- ما الذي أتى بك اذن ؟ .

كانت قوى ليلى قد استنفذت كلها

فجلست فجأة وقد شعرت أن ساقها لم

تعودا قادرتين على حملها أكثر من ذلك .

فالدقائق التالية ستقرر مستقبلها ، وكل شيء

وقف على ردة فعل رونان لما ستقوله . .

تقدم رونان يجلس بجانبها :

- ليلي ! أجيبي على سؤالي ! .

- لم تكف عن توجيه الأسئلة حتى الآن .

.

تمكنت ليلي من أن تقول بصوت مضطرب ،

وهي تلتمس في وجهه ما يشجعها على الأمل

.

لم تعرف ما اذا كان اللهب في عينيه هو ما
تبحث عنه ، ولكن لم يعد بوسعها أن تتراجع
، لأنها قطعت شوطا طويلا . وقد حان
الوقت للمغامرة بكل شئ في ضربة واحدة .
- و حان الوقت لتجيب عن أسئلتى ويمكنك
أن تبدأ باخباري لماذا ساعدت ديفي ؟

- وهل رأيتة ؟

كان سؤاله سريعا و دفاعيا في آن معا .
- رأيتة . وأخبرني ما فعلت لأجله . . أما ما
أريد أن أعرفه ، يا رونان ، فهو . . لماذا ؟

- لأنه لم يعط روزالي الحبة .

وأخذ يحدق في السجادة المحروقة في محاولة

منه لتجنب نظراتها الفاحصة .

- أعرف هذا ، انما ما يدهشني هو أنك

منحته الفرصة ليشرح لك الأمر ، مع أنني

حسيتك ستقتله عند رؤيته .

توهج وجه رونان وهو يهز رأسه بحماسة .

- شفيت من الرغبة في الانتقام بعد تصرفي

الأحمق معك ، لأنني أدركت أنه لم يحل شيئاً

، ولم يخدم هدفاً على الإطلاق . فقد تكومت

الآلام فوق بعضها بعضا ثم حطمتني عندما

آذيتك .

.

خفق قلبها بعنف لكلماته هذه .

– ولكن لماذا . . ؟

– لماذا ساعدت أخاك ؟

وتنهذ رونان بعمق ، وأخذت أصابعه تنقر

بقلق على ذراع الأريكة .

أتراه متوترا ؟

– عندما حدثتني عن موت والديكما أدركت

أنني لن أتمكن أبدا من النظر الى ديفي من

المنظار نفسه ، فوجدت نفسي ، أشعر

بالعطف عليه .

وعندما جاء ليراني ، ليخبرني بحقيقة ما حدث
، لم أر فيه ذلك السفاح عديم المسؤولية
الذي كنت أعتقد ، بل رأيت ديفي الحقيقي
. فورا كل ذلك التبجح واللامسؤولية ،
رأيت الصبي الصغير الضائع الخائف من أن
يكون مسؤولا عما حدث لأمه وأبيه ، الذي
جعله تأثير ذلك يعتبر نفسه مسؤولا عما
حدث لروزالي أيضا ، رغم أنه لم يكن مشتركا
في ذلك بشكل مباشر .

أخذ نفسا عميقا ، وتابع يقول :

- فعلت ما فعلته من أجل روزالي أيضا .
فقد أحبت ديفي ، والشئ الوحيد الذي
بإمكاني أن أفعله لأجلها هو أن أتأكد من أنه
بخير ، وفعلت ذلك لأجل نفسي أيضا .
فبعد الفوضى التي أحدثتها في حياة الآخرين
، أردت أن أصلح بعض الأمور .
أخذت ليلى تفكر باكتئاب بأن ما فعله كان
لأجل ديفي ، وروزالي ورونان نفسه ، ولكن
ماذا عنها هي ؟

وقالت بصوت منخفض حزين :

– أما أنا ، فلم تفكر بي قط .

رفع رونان رأسه بحدة ، ونظر في عينيها

المظلمتين :

– لم أفكر بك ؟ ولكنك كنت السبب

الوحيد في كل شيء ، القوة الدافعة وراء كل

ما فعلته أنا . فما فعلته كان بسببك . .

ولأجلك .

– أنا . .

لكنها عجزت عن الكلام . فما قاله لا
يصدق ، ومن الصعب عليها أن تستوعبه
مرة واحدة ، ومد رونان يده يأخذ يديها
بيديه .

– كان شعوري بالذنب بما فعلته بك بالغا .
فقد أدركت مدى قسوتي وأنانيتي ورغبتني
السخيفة في الانتقام .

– لأنك كنت تتألم كثيرا .

قالت ليلى ذلك وهي لم تعد قادرة على
تحمل عذابه وهو يعنف نفسه بهذا الشكل .

ولكنه هز رأسه بعنف وكأنه ينكر عليها

محاولتها تبرير عمله .

- هذا ليس عذرا ، ما فعلته كان خطأ .

كنت بريئة فأذيتك بشكل فظيع ، وعاملتك

بطريقة لا يمكن لانسان أن يعامل بها انسانا

آخر ، فكيف اذا كان ذلك الشخص . .

وسكت لبرهة قبل أن يتابع كلامه قائلا :

- أريد منك أن تعرفي أنني لم أكن أقصد قط

مطارحتك الغرام . أردت أن أتركك في نفس

الليلة ، وأرحل من دون اتمام الزواج حتى
تنتهي منه بسهولة .

وظهر في ابتسامته الاشمئزاز والازدراء لنفسه
وهو يتابع :

- كنت سأخبرك بينما كنا نأكل . ولكن حين
أخذت تطعميني بيدك لم أستطع منع نفسي
.....

واهتز جسمه القوي لذكرياته .

- وفقدت صوابي والقدرة على تمالك نفسي
وذهبت بنا الأمور الى أبعد حد فتعقدت

المسألة أكثر بكثير مما كنت تصورت ، وأنا لا

أستغرب مبلغ كراهيتك لي بهذا الشكل .

– أنا لا أكرهك .

قالت له ذلك برقة وثقة .

.

صعق رونان وبدا الاضطراب في عينيه :

- لا بد أنك كذلك . . فأنا أكره نفسي ولا

يمكن أن أصفح عن كل ما . . .

- لكنني أغفر لك ما فعلته .

تسمر في مكانه ، وقد ارتد رأسه الي الخلف

بحدة . ونظر في عينيها بعينين مظلمتين

تفصيحان عن ألم وضعف طعناها في الصميم .

- أنت . .

- نعم أصفح عن كل شئ فعلته .

- ولكن كيف ؟

– لأنني أفهم السبب الذي جعلك تفعل هذا

. فقد كنت تتألم بشدة .

– وعندما تحب شخصا ، يصبح من السهل

أن تغفر له .

– الحب ؟

كان صوته أجش صادرا من الأعماق ،

مفصحا عن عمق مشاعره الحقيقة .

- لا يمكنك أن تحبيني ! ومع ذلك واجهت

النيران لأجلي . .

تابع ذلك محدثا نفسه تقريبا ، وقد امتلأ

صوته بنوع من الرهبة :

- لو تعلمين ما شعرت به عندما استيقظت

ورأيتك . وكنت أعلم مبلغ فزعك من اللهب

كانت ابتسامة ليلى واسعة رقيقة تفصح عن
كل ما في قلبها .

.

- لم أفكر في النار لأنك كنت في خطر
ولأنني . . لأنني أحبك . . آه ، يا رونان ،
كم أحبك ! وهذا هو سبب وجودي هنا .

فأنا أحبك وأريد أن نجعل زواجنا حقيقيا ،

حتى يكون لابننا . .

- لكنك قلت انك تكرهيني !

- أواه ، يا رونان !

واذ تمزقت مشاعرها بين الضحك والبكاء ،
لم تستطع الا أن تهز رأسها استنكارا لكلماتها

الحمقاء تلك .

- لست وحدك من ينطق بكلمات غبية

ومؤذية ليخفي من خلالها الألم في داخله .

فأنا لم اقل ذلك الا لأغطي حبي لك ، تماما

كما تركتك ترحل لأنني ظننت أن هذا جل
ما يمكنني أن أفعله لأجلك . فقد تأملت كثيرا

...

- لكنني رحلت فقط لأن هذا جل ما يمكنني
القيام به لأجلك .

وعندما هز رونان رأسه مستغربا حماقته ،
استجمعت ليلى شجاعته لتلقي عليه
السؤال الذي يهمها جوابه أكثر من أي شيء
آخر :

- أيمكنك الآن أن تنهي جملتك ؟ .

– جملتي ؟

ونظر اليها باستغراب .

.

– قلت انه ما كان يجدر بك أن تعامل أي

شخص بتلك الطريقة . . فكيف ان كان

ذلك الشخص . .

فأكمل رونان جملته بصوت حافل بالاحلاص

:

- فكيف اذ كان ذلك الشخص امرأة أحبها

أكثر من أي شئ في العالم وأنا أحبك يا ليلي

! أحبك أكثر من الحياة نفسها ، واذا كان

بامكانك حقا أن تصفحي عني ، فسأمضي

بقية حياتي في اسعادك . . .

وسكت عندما وضعت ليلي يدا رقيقة علي

فمه تسكته .

– أعرّف هذا . لقد رأيت مبلغ حبك لروزي

، فان كنت تكن لي ذلك النوع من

الاخلاص والتفاني ، فكيف لا أكون سعيدة

؟

– آه ، يا ليلي . .

وأخذها بين ذراعيه يشدها اليه حتى لم تعد

تستطيع أن تتنفس ، وقبلها بشوق وعاطفة

دلت على حبه ورغبته وحاجته اليها أكثر مما

يمكن أن تفصح عنه الكلمات .

عندما تركها أخيرا ، كان قلبها يخفق بشدة
بين ضلوعها وقد اشتعلت النيران في عروقتها
، فاخذ الشوق في داخلها يطالب بالمزيد .

ولكن بقي لديها سؤال واحد :

– أتظن أن والديك سيقبلان بي ؟

وجاء دور رونان الآن ليسكتها باصبعه :

- يكفي أن ينظرا اليك ليحباك .

وتابع يقول وقد رأى الاهتمام على وجهها :

- انهما يعلمان أن ديفي ليس مسؤولا عما

حدث لروزالي . وعندما يعرفان بأمر الطفل ،

فسيسرهما استقبالك في الأسرة . صحيح

الآن طفلنا لن يأخذ مكان روزالي ، لكنه

سيملأ الفراغ الذي خلفته . وبصفتك زوجتي

...

- زوجتي !

رددت ليلي الكلمة برهبة ، فلم تخل أبدا أنها

ستصبح زوجة رونان فعلا .

وعندما رفعت يدها لتلمس وجهه بحبة ،

تذكرت بندم حماقتها يوم ألقت خاتم زواجهما

في القناة .

.

فصرخت بأسى :

- رونان ، ليس لدي خاتم . أنا . . .

- سأعطيك خاتم آخر ، خاتم حب لزواج

حقيقي بين عقلين وقلبين وسنقيم حفلة زفاف

أخري . انا ، نحن الاثنين . وقد ندعو اليها

أبوي وديفي . وعندما أتعهد بأن أحبك

وأحميك ، فستعلمين هذه المرة أنني أعني ما

أقول .

أخذها مرة أخرى بين ذراعيه وراح يقبلها الى
أن دار رأسها . ولم يعد بإمكانها السيطرة
على النيران التي استعرت في داخلها ، مما
جعلها ترتجف على صدره .

وتمتت :

– ذلك الزواج ، الذي هو بين عقليين وقلبين
. . . أظنك نسيت شيئاً . . .

– ماذا ؟

جعلتها تلك الضحكة التي تخللت الكلمات
تدرك أنه يعرف تماما ما تعنيه . ولكنه ، مع
ذلك ، تظاهر بعدم الفهم .

تسللت أصابعها تحت كنزته فارتسمت على
شفتيها ابتسامة خبيثة عندما شعرت برودة
فعله وتوتر عضلاته القوية .

– أنت لم تذكر جسدينا . . كان عليك أن
تقول قلبينا وعقلينا وجسدينا .

– اتحاد المشاعر والثقافة والجسد ، هذا هو
نوع الزواج الذي أريده .

– وأنا أيضا .

.

قال رونان بصوت ملئ بالرغبة :

– أتريدين أن أريك مقدار ذلك ؟ .

فتألفت ابتسامة ليلى تظهر سعادتها .

– انتظرت طويلا هذا السؤال . نعم ، أريد

ذلك من كل قلبي .

وعندما حملها رونان وخرج بها من الغرفة

شعرت بسعادة بالغة وهي تعلم أنها زوجته

الآن ليس ليوم واحد ، بل لكل أيام عمرها .

موقع مكتبة رواية

www.rivaya.ga

قناة روايات عبير على تيليجرام

<https://t.me/aabiirr>

تمت